



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد ابن باديس - مستغانم -
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الفلسفة



مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الفلسفة
الموسومة بـ
مفهوم الثورة في فلسفة حنة أرندت

تحت إشراف الأستاذ:

د. قواسمي مراد

من إعداد الطالب:

بوشنه عبد الكريم.

الموسم الجامعي:

2014/2013

تتميز الظروف الدولية الراهنة باشتداد الصراع السياسي؛ سواء على مستوى الفكر أي في مجال التنظير السياسي، أو في مجال الممارسة السياسية أي في واقع الدول، فحال الإنسانية - اليوم - يبين أن الكثير من أقطارها تعيش حالة من اللاإستقرار، والفوضى، والصراعات السياسية، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: اليونان، سوريا، إيطاليا... إلخ.

وأهم مميزات هذا العصر الثورة* Révolution، إذ تُعْتَبَر ظاهرة من أقدم الظواهر التي عرفها الإنسان في تاريخه، وإن كانت هذه الظاهرة تبدو اليوم واضحة المعالم خاصة في وطننا العربي والإسلامي، حيث أطلق المؤرخون السياسيون على عصرنا هذا عصر الثورات بامتياز.

ولقد حاول الكثير من علماء السياسة وفلاسفتها ومنظريها قراءة التاريخ السياسي لفهم هذه الظاهرة، لكن للأسف كانت معظم القراءات والمحاولات زائفة، لتحيز أصحابها لهذا الاتجاه أو ذاك، على اعتبار أن كل قراءة للتاريخ هي قراءة متحيزة، إذ هي لم تصل إلى ما كان أو ما هو كائن بل لتؤكد ما تريد له أن يكون.

ومن بين أولئك الذين دعوا إلى ضرورة إعادة فتح وقراءة صفحات التاريخ السياسي، لفهم ثورات الدول، نذكر على وجه التحديد -لأنها موضوع بحثنا- المُنظرة السياسية الأمريكية، الألمانية المولد والأمريكية الجنسية؛ حنا أرندت** Hannah Arendt التي تُعد أبرز من تعامل مع هذا المفهوم في جميع مستوياته وأشكاله السياسية.

إن دراسة فكر أرندت يتطلب الكثير والكثير من البحث والتتقيب الذي يرقى إلى مستوى الإشكاليات الفلسفية السياسية التي تطرحها، والتي حاولت أن تُجيب عنها مُنطلقة من فكرة أن الحروب والثورات قد حددتا ملامح القرن العشرين، سعياً منها إلى وضع نظرية كلية في الثورة بالاعتماد على محددات واقعية، وعليه فقد حاولنا أن نتناول فكر هذه المُنظرة إنطلاقاً من كتاباتها الفلسفية السياسية مدفوعين بفكرة التعامل المباشر مع مرتكزات تفكيرها واستنتاجها.

*- أنظر التعريف به في الملاحق، ص 62.

** - أنظر التعريف به في الملاحق، ص 58.

لقد سعينا بُغية تحقيق أفضل قراءةٍ لهذا الفكر إلى الإعتماد على مؤلفات أرندت وعلى رأسها مؤلفها الشهير "في الثورة" الذي أقل ما يُمكن القول عنه أنه من أفضل الكتب التي أنتجتها الفلسفة السياسية لحد اللحظة، لدقة الطرح وبلاغة الأسلوب ومُرونة التحليل لهاته الظاهرة وأبعادها، إذ يُعتبر بمثابة المفتاح الأول لأية محاولةٍ لقراءة أفكارها السياسية، باعتباره كتاب مقدمات تُبسّط فيه جميع المسلمات التي يركز عليها بنائها الفكري السياسي، وكان لزاما علينا العودة إلى بعض الكتب الأخرى كمؤلفها الآخر "في العنف"، ولكن بالعمل على إجراء مقاربات بين نصوصه، ونصوص أخرى.

ولقد عكفنا على تحليل هذا الموضوع المتشعب الجوانب، وحاولنا التوغل في أمهات القضايا التي تلازمه، مثل العنف،* الحرية**، التحرر، السعادة، القضية الإجتماعية -الفقر- وأخيرا حقوق الإنسان***.

والحقيقة أن اختيارنا لهذا الموضوع عند هذه المُنظرة بالذات لم يكن إعتباطي؛ بل كان مما وجدناه في خطابها من إيمان بقيمة الثورة، فالإيمان بقيمة الثورة ووظيفتها كان مرتكز تفكير أرندت، وموجه نظرياتها السياسية.

وعليه فقد حثتنا دوافع ذاتية وموضوعية على الخوض في هذا الموضوع، فأما الذاتية فتتمثل في رغبتنا الشخصية لولوج عالم هذه المُنظرة السياسية في معالجة مفهوم الثورة، لأنه يمثل أهم النماذج التي تعكس رصانة التفكير السياسي المعاصر، وبالتالي الاستفادة منه وفي جميع الحالات: إما من خلال استثمار إيجابياته أو كشف ومناقشة وتصحيح أخطائه.

ويضاف إلى ذلك بواعث موضوعية، تتمثل في كون الموضوع يتعلق بواقع الإنسانية وما لذلك من فائدة علمية ونظرية، وكذا راهنيته بالنظر إلى الأوضاع التي تشهدها المنطقة

*- أنظر التعريف به في الملاحق، ص 65.

** - أنظر التعريف به في الملاحق، ص 64.

***- أنظر التعريف به في الملاحق، ص 64.

العربية،-الربيع العربي* - التي نجد إنها تستدعي مجموعة من المفاهيم النظرية مثل مفهوم الثورة، ومثل هذه المفهوم بحاجة إلى مراجعة ومناقشة لدلالاته وقيمه التحليلية.

ونعترف بأننا أحسننا بالصعوبة عندما عُصْنَا في هذا البحث ربما لكونه سياسيًّا أكثر منه فلسفيًّا؛ لكننا حاولنا جاهدين العمل والتركيز لإخراجه في أحسن وأنسب صورة، مُعتمدين على مجموعة من المصادر والمراجع التي توفرت لدينا، كما تجدر الإشارة إلى صعوبة أخرى لاقيناها خلال إعداد بحثنا هذا، وهي صعوبة إصطلاحية تعود إلى الإستعمال الاصطلاحي غير النظامي -العلمي- لمفردة الثورة، هذا ما جعلنا نجتهد في توظيف هذا المصطلح وتكييفه مع مجال دراستنا، وبذلك يبقى هذا المصطلح واجب المعالجة بحذر شديد.

والحقيقة أن هذه الصعوبات باختلافها تتلاشى بحيث لم تكن لتعيق بحثنا في الموضوع؛ بقدر ما كانت تكشف لنا عن قصورنا المعرفي، وبذلك فهي تفتح لنا ولغيرنا آفاق البحث مستقبلاً، إلا أن شغفنا بالموضوع هو ما أنسانا تلك الصعوبات؛ رغم أن تكويننا في هذا المجال لا يرتقي إلى مستوى التعامل مع نصوص ومواضيع هي لمنظرة سياسية بحجم حنا أرندت، التي يمكن القول بأن صعوبتها إنما تكمن وراء بساطة أسلوبها الفلسفي والسياسي.

أما المنهج الذي اعتمدناه في المذكرة فيقوم على المقارنة؛ بين ما تذكره أرندت وبين غيرها ممن له رأي في أية مسألة من المسائل التي تطرحها، وما يتبع ذلك من نقد وتحليل وتركيب والذي من شأنه توضيح القضية وتحليلها للاقتراب من اليقين.

تناولنا المسألة المتعلقة بمفهوم الثورة عند حنة أرندت وما يطرحه من إشكاليات وتساؤلات من خلال هذه المقدمة، وفصلين رئيسيين في كل فصل ثلاث مباحث، وخاتمة، لذا فقد اشتمل هيكل هذه المذكرة على:

هذه المقدمة ومن خلالها حاولنا رسم معالم الموضوع، وتقديم أهم الإشكاليات التي يطرحها مذكرين بالمنهج الذي اعتمدناه في المذكرة.

* - أنظر التعريف به في الملاحق، ص 65.

الفصل الأول عنوانه: أرندت والثورة؛ تفسير الأولويات الإشتراطات والظروف/ قدمنا فيه قراءة تحليلية للثورة، من خلال وتحديد مفهومها وشروط تحقيقها.

وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث؛ عمدنا في مبحثه الأول: واقع الحرب والثورة؛ إطلالة أرندتية/ إلى محاولة معرفة تصور أرندت لمفهومى الحرب والثورة وسيروورتهما، من خلال الكشف عن المرجعية التاريخية والفكرية لكلا المفهومين، وإيجاد تبرير لاختلاف الفلاسفة فيهما، أما المبحث الثاني فعنوانه: بما قبل الفعل الثوري؛ تأصيل تاريخي للعنف/ حاولنا من خلاله العودة إلى جذور العنف وعلاقته بالفعل الثوري، أما المبحث الثالث: التغيير الثوري؛ في سبيل الحرية والتحرر/ بينا من خلاله قيمة القضية الثورية الأولى وهي الحرية، و كان الغرض من هذا الفصل هو وضع القارئ مباشرة في الصورة التي تقدمها أرندت عن نظريتها في الثورة.

كما كرسنا الفصل الثاني لبحث التجارب الثورية الحديثة لذا اخترنا له عنوان: أرندت وتجربة الثورة الحديثة (الأمريكية والفرنسية أنموذجا)؛ قراءة في المقدمات، السياق والنتائج/ حاولنا من خلاله معرفة أهم الأفكار التي تقوم عليها نظرية أرندت في الثورة، أردنا في مبحثه الأول: الثورتان الأمريكية والفرنسية؛ بحث في القضية الاجتماعية/ تبسيط العلاقة الكامنة وراء الفعل الثوري والقضية الاجتماعية كالفقر مثلا، ثم مضيينا إلى المبحث الثاني: ثنائية الحرية والسعادة؛ في خيارات الثورة الأمريكية والفرنسية/ حاولنا فيه رصد تطور الأهداف العامة لكلا الثورتين ممثلة في الحرية والسعادة، أما المبحث الثالث: عن مآلات الثورة؛ أمريكا وفرنسا نحو حقوق الإنسان، تحدثنا فيه عن نتائج الثورتين مركزين على حقوق الإنسان، وكان الغرض من الفصل الثاني هو فهم خلفيات هذه النظرية وربطها بالتجارب الثورية.

تتمثل الإشكالية المحورية للموضوع على وجه التحديد في : إلى أي مدى يمكن الاخذ بمفهوم أرندت عن الثورة وما يحمله من أبعاد كمرجع لفهم ثورات العالم المعاصر؟ لذا سنعمل في مذكرتنا هذه على كشف التساؤلات التالية:

- ما هي ركائز فكر حنة أرندت عن مفهوم الثورة؟

• كيف تُعالج أرندت تجربة الثورات الحديثة؟

كما أُتْبَعْنَا هذه الدراسة بخاتمة؛ حاولنا فيها إيجاد تفسير لمختلف التساؤلات التي طرحناها في إشكالية البحث، مُقترحين في نفس الوقت الحلول الممكنة، كما ضمناها بعض الملاحظات والأفكار العامة التي رأينا أنها تُعطي خلاصة مُكثفة لأهم أبعاد الموضوع من الناحية الفلسفية وجوانب النقد التي يمكن أن توجه لهذه النظرية.

إلا أنه من الضروري الإشارة إلى أن كل بحث علمي في محاولته طرق باب الحقيقة تعثره لا محال كبوات؛ وذلك بالنظر إلى ما يُواجهه الباحث من عقبات تبدأ في التنامي عند أول خُطوة في جمع المادة العلمية، لذا لا بد من القول أن في هذه المذكرة هَنَاتٌ كثيرة بدون شك، ونقائصٌ تدعو إلى التدارك والتقويم، وإلى مزيد من الجهد الفكري من أجل التصحيح والتعديل، وعليه فإننا في تمام الإصغاء لكل ملاحظة تُوجه إلينا في هذا الشأن، وعلى تمام الإستعداد لتصحیحها، فالينا تعود سَلبياتُ هذا البحث ونواقصه، وإلى توفيق الله عز وجل، والأستاذ المشرف تعود إيجابياته.

وأخيرا فإننا لا نَدْعِي لأنفسنا الكمال والتمام، وحَسْبُنَا أننا إجتهدنا في معالجة هذا الموضوع قدر المُستطاع، ونرجوا أن نكون قد سُدِدْنَا وقَارِنْنَا الحقيقة، والله نَسألُ سَدَادَ الرَّأْيِ وتَحْقِيقَ النَّفْعِ كما نرجوا منه التوفيقَ والقَبولَ.

فهرس المحتويات:

- استفتاح.

- إهداء.

- كلمة شكر وتقدير.

- مقدمة.

الفصل الأول: .: أرندت والثورة، تفسير الأولويات الإشتراطات والظروف.

- المبحث الأول : بين الحرب والثورة، إطلالة من زاوية أرندتية .

- المبحث الثاني: ما قبل الفعل الثوري، تأصيل تاريخي للعنف.

- المبحث الثالث : التغيير الثوري، في سبيل الحرية والتحرر.

الفصل الثاني : أرندت و تجربة الثورة الحديثة (الأمريكية الفرنسية أنموذجا)،

قراءة في المقدمات، السياق والنتائج.

- المبحث الأول : الثورتان الأمريكية والفرنسية ، بحث في القضية الإجتماعية.

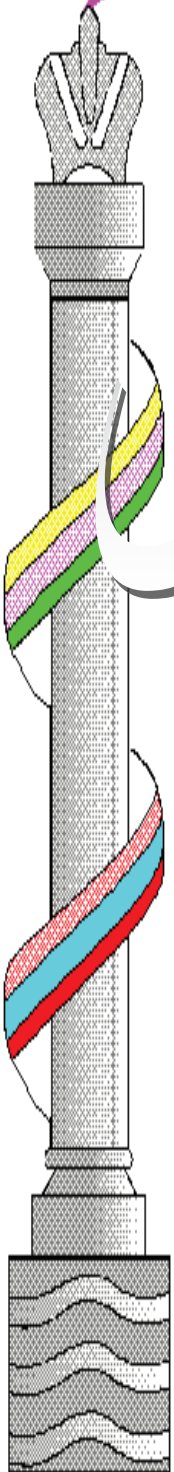
- المبحث الثاني : ثنائية الحرية والسعادة، في خيارات الثورة الإمبريكية والفرنسية.

- المبحث الثالث : عن مآلات الثورة، أمريكا وفرنسا نحو حقوق الإنسان.

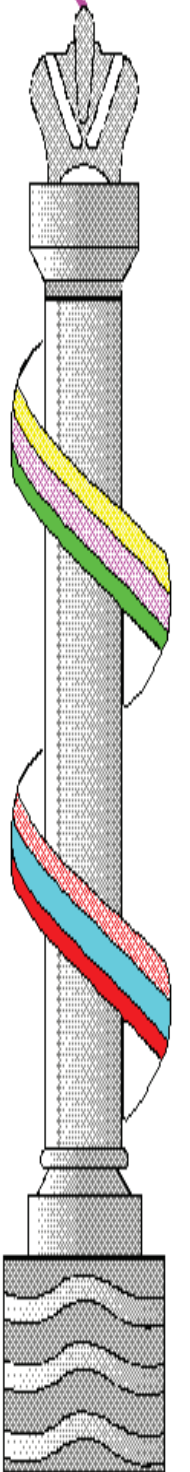
- خاتمة.

- الملاحق.

- قائمة المصادر والمراجع.



الفصل الأول



1-1- المبحث الأول: بين الحرب والثورة؛ إطلالة من زاوية أرندتية.

تستهل أرندت كتابها "في الثورة" بقولها: إن الحروب والثورات قد حددتا اليوم ملامح القرن العشرين، فما زالت الحرب والثورة على حد تعبيرها تشكلان القضيتان السياسيتان المركزيتان لهذا العالم؛ فهما مُتلازمتان تلازماً تاماً، وتعود أرندت في تعريف الحرب إلى "كلاوزيفتس": " بوصفها فعل عنف يهدف إلى إجبار الخصم على فعل ما أريد، كما تعني عند "شيراووتس هوبي" تسلط الإنسان على الإنسان"¹، "وتاريخ الحروب تاريخ قديم أما الثورات فلم تظهر إلا مع العصر الحديث؛ بل إنها أحدث الوقائع السياسية الأساسية"²

في نظر أرندت توجد مجموعة من الحقائق والأسباب الضرورية لاندلاع معظم الحروب في التاريخ؛ وهي "الفتوحات والتوسعات والدفاع عن الدولة ومصالحها المكتسبة، والحفاظ على السلطة نظراً لظهور دول جديدة مهددة أو مؤيدة، إنها كذلك دوافع مشروعة لتنفيذ قرار بقوة السلاح واستعماله"³؛ هذا ما يشهد به "تاريخ الحروب الدينية والاستعمارية القديمة والحديثة، بفتوحاتها وغزواتها وحملاتها التبشيرية أو التقدمية، ضد الأقوام والجماعات التي سميت بدائية أو جاهلية أو متخلفة؛ وإذا كان الحيوان يقتل ليحصل على غذائه أو للدفاع عن موطنه، فإن البشر كثيراً ما يلجأون إلى تجميل حروبهم تحت شعارات نبيلة أو سامية لإخفاء إرادة الهيمنة والسيطرة، أو منازع الكره والعداء"⁴.

مع الرومان يظهر أول تفكير يجعل للحرب مبررات؛ و"يصفها بأنها عادلة أو غير عادلة، وظلت هذه التصنيفات دائماً غير مرتبطة بالحرية، ولم تستطع أن تضع حداً فاصلاً بين ما نسميه حرب عدوانية وحرب دفاعية، فحتى الحروب التي كانت على شكل إنتفاضات ضد المستعمر والغازي الأجنبي وباعتبارها مقدسة، لم يعترف نظرياً ولا عملياً على أنها

1- حنة أرندت، في العنف، تر: ابراهيم العريس، دار الساقى، بيروت لبنان، ط 01، 1992، ص 32.

2- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، مر: رامز بورسلان، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط 01، 2008، ص 14.

3- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر نفسه، ص 15.

4- علي حرب، ثورات القوة الناعمة في العالم العربي من المنظومة إلى الشبكة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت

لبنان، ط 02، 2012، ص 76.

وحدها الحروب المشروعة والعادلة، وقد قال ليفي: إن الحرب الضرورية هي حرب عادلة، أما السلاح فهو مقدس إذ لا أمل قط من دونه"¹، تضيف أرندت "إن الضرورة كانت تعني ومنذ أيام "ليفي" وعلى مدى قرون أشياء كثيرة نجدها اليوم كافية تماماً لنعت حربٍ ما بأنها غير عادلة بدلاً من نعتها بأنها عادلة"²، ومن بين هاته الأشياء التي تجعل من الحرب ضرورية في رأينا؛ نجد الحرب ضد الاحتلال الأجنبي العدواني المسلح قصد نيل الحرية وحق تقرير المصير، وللدفاع عند اختراق الحدود الإقليمية والجغرافية لبلد ما والسيطرة عليها.

يقول "باربارا ويتمر" في هذا الصدد: "قد تُشَرِّعُ السلطة الاجتماعية الحرب وتُصادق عليها وتُعدها مقبولة عندما تشن ضد معتد، يُعَبِّرُ عن سلوك عنيف مُتَعَدِّرٍ ضبطه، ولكن يمكن إيقافه بالأسلوب العنيف ذاته، أو يمكن شن الحرب نظراً إلى عدم جدوى تجنب الاعتداء على آخر، بمعنى أن شن الحرب ضد آخر هو ضمن التركيب البيولوجي للبشر"³.

تراعي أرندت تطورات العلم في مجال الحروب، وترى أن التطور المخيف للتقنية الحديثة في مجال صناعة آلات الحروب والدمار الشامل والأسلحة النووية؛ -خاصة بعد الحرب العالمية الأولى- "هو ما أظهر ما لها من قوة شنيعة تدميرية، وهذا ما جعل من البديهي لفكرة أن العدوان هو جريمة وأن الحروب لا يمكن تبريرها إلا لصد العدوان أو للحيلولة دونه؛ هو ما جعلها تكتسب أهميتها العملية والنظرية، بل وإن غياب موضوع الحرية كمبرر أساسي من مبررات الحروب هو ما ساعد على ذلك أيضاً"⁴، وتعني أرندت بذلك أن الحرب كانت فيما مضى لا تقوم إلا قصد نيل الحرية، لكن ما نجده -اليوم- من غياب تام لهذا القصد.

وغير بعيد من هذا الاتجاه، نجد أن الحرب أصبحت نتيجة التقدم العلمي والتقني في الأسلحة النووية الحديثة -بعيدة الوقوع بل شأناً من شؤون الماضي، وأن الثورات كانت وستكون طابع القرن الذي نعيش فيه، وقد كانت أرندت محقة عندما قالت: "إنه في هذا

1- حنة أرندت، رأي في الثورات، تع: خيرى حماد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ط 02، 2011، ص 13.

2- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 15.

3- عزيز لزرقي ومحمد الهلالي، دفاتر فلسفية: العنف، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 01، 2009، ص 20.

4- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 16.

القرن قرن الثورات لا الحروب سيفوز في صراعات الحرب الباردة الدائرة على أشدها بين عالمين متنافسين، الجانب الذي يفهم الثورة ويقدرها تمام التقدير، أمام الجانب الذي ما زال يؤمن بالحرب كمالذ أخير في سياسته الخارجية، فسيجد نفسه بارعا في تجارة بار سوقها وكسدت سلعها".¹

وفي هذا السياق تضيف أرندت مستحضرة أمثلة حية، "إنه لا في الثورات ولا في الحروب يكون الحسم -دائماً- عسكرياً محضاً، اللهم إلا عندما تكون هنالك قوة ساحقة تجعل العدو يستسلم دون قيد أو شرط، كما استسلمت اليابان لأمريكا بعد قنبلتين ذريتين، أبادتا كل شيء في "هيروشيما" و"ناكازاكي"؛ لذا علينا أن نعود الى السياسة والوسائل السلمية ونعتبرها هي الأصل، وهي وسيلتنا الاولى لتسوية النزاعات، وتبقى القوة العسكرية لمجرد الدفاع عن الأنفس والاموال والاعراض أمراً مشروعاً"².

تقول أرندت وبشكل واضح ومطول: "وما يمكن قوله أن الحرب النووية الحرارية لم تعد مقبولة كوسيلة لتسوية المنازعات بين الدول ذات السيادة، وأن هذا الحكم يقوم على مجموعة متزايدة الضخامة من الأدلة التي تشير بوضوح إلى أن عواقب تلك الحرب ستتطوي على الأقل على نكوص اجتماعي قادح، فضلا عن انطوائها في أسوأ الاحوال على إبادة الأمم، إنه بالرغم من ذلك فإن منع الحرب النووية الذي هو شرط أساسي لبقاء نوعنا البشري سيحتاج إلى تعديل عميق في فكرتنا عن استخدام القوة بين الدول ذات السيادة، وأن هذا بدوره سيتضمن تغييرات بعيدة المدى في العالم"³، ومن جهة أخرى وفي التقدم العلمي ذاته في مجال الحروب، ترى أرندت "أن التهديد الذي كانت تجعلنا نعيشه تلك الآليات المدمرة والأسلحة الفتاكة والقنابل الذرية وما كانت تطرحة من إحتمال إبادة جماعية إذا ما استعملت، قد يزول بفعل ما عرفته التقنية ذاتها من إكتشافات مضادة لما سبق، ونعني بذلك القنابل النظيفة والصاروخ المضاد للصواريخ"⁴.

1- حنة أرندت، رأي في الثورات، تع: خيرى حماد، المصدر السابق، ص 08.

2- محمد كمال الشريف، مقالات عن الثورة السورية، ورقة بحثية، د ط، د ت، ص 87.

3- جون ستراتشي، حول منع الحرب، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، مر: محمد فتح الله الخطيب، كتب عربية، د ط، د

ت، ص 11.

4- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 18.

تُمثل الثورة عند أرندت أعظم ظاهرة شهدتها العصور الحديثة، وبإيمانها هذا راحت تركز في الجذور الثورية الحديثة، وما تمخضت عنه من أحداث ومفاهيم غيرت ملامح العصر الحديث، لذا تقول: " في حين لم تكن الثورات إذا شئنا الدقة في التعبير موجودة قبل بداية العصر الحديث، لذا تعتبر من أحدث الحقائق السياسية الرئيسة"¹.

كتبت حنة أرندت تقول: "إن الثورات هي الأحداث السياسية الوحيدة التي تواجهنا مباشرة بشكل لا مناص منه بمسألة البداية، ذلك أن الثورات مهما حاولنا تعريفها ليست مجرد تغييرات، وهذا ينطبق على الثورات العلمية والفنية أيضاً"²، فلا يمكننا الحديث عن الثورة - عند أرندت - إلا حين يحدث التغيير ويكون بمعنى بداية جديدة، وإلا حين يُستخدم العنف لتكوين شكل مُختلف للحكومة لتأليف كيانٍ سياسيٍ جديدٍ، وإلا حين يهدف التحرر من الإضطهاد إلى تكوين الحرية، تضيف أرندت: "إن الروح الثورية في القرون الأخيرة أي التوق إلى التحرر وإلى بناء بيت جديد حيث يمكن ان تستوطنه الحرية، هي روح لا مثيل لها في التاريخ السابق بأسره"³، لذا يمكننا أن نقول إجمالاً: بأن الثورة هي فعل إرادةٍ يستهدف تغيير واقعاً استبدادياً طلباً للحرية.

*"The Revolution was a grand thing!". Exclaims Pierre Bezukhov in the first chapter of War and Peac.*⁴

ويعني هذا " أن الثورة قد إستعظمها الكثير من المحللين السياسيين وعلى رأسهم "بيير بيزوخوف" في الفصل الأول من كتابه "الحرب والسلام"، حيث يقول: " الثورة شيء عظيم". " وفي دراستها التاريخية للمصطلح، تشير أرندت إلى أن الثورات الحديثة "لا تشترك بشيء يذكر مع ما كان يسمى في التاريخ الروماني القديم بـ" الخصام الأهلي"، كما لا يمكننا تشبيه الثورات بتعريف أفلاطون لها " بأنها تحول شبه طبيعي في شكل من أشكال الحكومة

1- حنة أرندت، رأي في الثورات، تع: خيري حماد، المصدر السابق، ص 12.

2- عزمي بشارة، في الثورة والقابلية للثورة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، د ط، 2011، ص 30.

3- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 47.

4 - William Doyle; The French Revolution A Very Short Introduction, Published in the United States by Oxford University Press Inc., New York © William Doyle 2001. P.01.

إلى شكل آخر؛ فهذا التغيير كان تكرارياً دائرياً لا يأتي بجديد عموماً، ولقد كانت العصور القديمة على معرفة بالتغيير السياسي والعنف الذي يصاحب التغيير، ولكن تلك العصور لم تكن ترى أن ذلك التغيير والعنف من شأنهما الإتيان بشيء جديد تماماً¹.

إن العلاقة بين الحرب والثورة علاقة إطراد متزايد، كما أن التأكيد في العلاقة قد إنتقل من الحرب إلى الثورة مثال حرب التحرير الأمريكية التي كانت مصاحبة للثورة الأمريكية، والثورة الفرنسية التي لازمت حروب دفاعية وعدوانية، لذا يقال بأن نهاية حربٍ من الحروب هو ثورةٍ من الثورات²

وتختلف الثورة عن مجموعة من المفاهيم التي قد يراها البعض مشابهة لها؛ فهي تختلف عن حروب الإستقلال مثلاً؛ إذ تعني هذه الأخيرة غالباً "أن يبقى النظام الإستعماري وتصبح السيادة لوجه وطنية، أما الثورة فتعني تغيير النظام نفسه ليصبح وطنياً، وتختلف عن الانقلاب العسكري المفاجئ والمنفذ على يد فئة معينة قد ترفع شعارات ثورية، فالثورة ليست في الغالب تدبير فئة محددة صغيرة تستولي على كل الأمور حتى ولو آلت فيما بعد لاستئثار شريحة غير عريضة؛ بل هي في الأساس غضبة عامة من وجه مختلفة في المجتمع والشعب؛ بل ربما الشعب بأكمله أو أغلبه، كما تختلف عن الإنتفاضة أو الحركة الشعبية المحدودة الأهداف والميادين، وإن كانت الإنتفاضة قد تتطور لتصبح هبة أو ثورة حسب ردة الفعل السياسية واستجابة الناس"³.

ومن ناحية أخرى، وخلال دراستها للمفهوم من جميع جوانبه نجدها تقول : "إنه من المعلوم أن وظائف الجيش هي حماية السكان المدنيين والدفاع عنهم، لكن تاريخ حروبنا الآن إنما يرى عكس ذلك وهو أن الجيش لم يعد بإمكانه القيام بتلك الوظيفة والمهمة المنوطة به، إن إستراتيجية الردع الحالية قد غيرت بشكل واضح للعيان دور العسكر من كونه الطرف الحامي إلى الطرف المنتقم وهو دور عقيم بشكل أساسي"⁴.

1- عزمي بشارة، في الثورة والقابلية للثورة، المرجع السابق، ص 31.

2- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 21.

3- سليمان العودة، أسئلة الثورة، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت لبنان، ط 01، 2012، ص 35.

4- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 18.

وبمفهوم آخر "عندما ينحرف الجهاز الأمني عن وظيفته تلك؛ يبتعد عن ممارسته المشروعة القانونية والموضوعية، ويتحول إلى أداة للقمع اللامشروع، والتي تستخدم العنف المفرط؛ بل أقصى درجات العنف الدموي من إطلاق الرصاص الحي والمطاطي على المتظاهرين"¹، فالجيش "نظرياً" هو الشعب، تماماً مثلما نقول "إن البرلمان هو الشعب، لأن من مقتضيات سيادة الشعب وممارسة هذه السيادة، أن يحافظ هذا الشعب على سيادته وأمنه الذي قد تهدده أخطار من الخارج، وبما أن الشعب الذي لا يستطيع كله ان يمارس السلطة مباشرة، فإنه يكلُّ أمرها إلى جسم سياسي نائب عنه، هو الجيش"².

1- نبيل عبد الفتاح، النخبة والثورة: الدولة والإسلام السياسي والقومية الليبرالية، دار العين للنشر، مصر، ط 01، 2013، ص 232.

2- عبد الإله بلقزيز، ثورات وخيبات في التغيير الذي لم يكتمل، تق محمد الحبيب طالب، منتدى المعارف، بيروت لبنان، ط 01، 2012، ص 74.

المبحث الأول:

1-1- : بين الحرب والثورة، إطلاقة من زاوية أردنتية .

" إِنَّ أَهْلَ الْحَرْبِ هِيَ الْمَلِكِيَّةُ الْفَرْدِيَّةُ أَوْ الْجَمَاعِيَّةُ، وَبِمَا أَنَّ الْإِنْسَانِيَّةَ
مَنْدُورَةٌ لِلْمَلِكِيَّةِ بِحُكْمِ بَنِيَّتِهَا؛ فَالْحَرْبُ إِذَا طَبِيعِيَّةٌ، إِنَّ الْغَرِيْزَةَ الْحَرْبِيَّةَ
قَوِيَّةٌ جِدًّا إِنَّهَا الْغَرِيْزَةُ الْأُولَى الَّتِي ظَهَرَتْ قَبْلَ الْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ "

برغسون

الفصل الأول:

1- أرندت والثورة، تفسير الأولويات؛ الإشتراطات والظروف:

1-1- المبحث الأول : بين الحرب والثورة، إطلالة من زاوية أرندتية.

1-2- المبحث الثاني : ما قبل الفعل الثوري، تأصيل تاريخي للعنف.

1-3- المبحث الثالث : التغيير الثوري، في سبيل الحرية والتحرر.

عِنْدَمَا تُصْبِحُ الدِّكْتَاتُورِيَّةُ

وَاقِعاً؛ الثَّورَةُ تُصْبِحُ حَقّاً.

لورانز.

A decorative frame with intricate Islamic calligraphy and floral patterns in green, yellow, and red. The frame is shaped like a stylized cloud or a scalloped oval, with a central opening containing the text. The patterns are symmetrical and feature floral motifs and geometric designs.

المقدمة العامة

إِذَا أُرِدْتَهُ إِلَّا تَنْسَى بَعْدَ مَوْتِكَ؛ إِمَّا أَنْ
تَكْتُبَ شَيْئًا يَسْتَحِقُّ الْقِرَاءَةَ، أَوْ تَعْمَلَ شَيْئًا
يَسْتَحِقُّ الْكِتَابَةَ.

بِنِجَامِيْنَ فِرَانْكَلِيْنَ

الاهداء

إلى مربي "قرباً" ...

إلى النبي محمد صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله "حباً" ...

إلى والدي حفظها الله "وداً" ...

إلى روح والدي العزيز مرحمة الله عليه "فضلاً" ...

إلى إخواني وأخواتي وأنرواجهم وأبنائهم كل باسمه "فخراً" ...

إلى العائلة الكريمة "عزراً" ...

إلى كل الاساتذة والأحباب والأصدقاء بدون استثناء "قدراً" ...

التشكرات

بعد شكر وحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، فإني أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير العميق إلى الدكتور قواسمي مراد الذي تقبل بصدري مرحب الإشراف على هاتاه المذكرة، وكذلك على ما قام به من جهد مشكور ومأجور عليه إن شاء الله تعالى، إذ منحني من وقته الكثير ولم يبخل علي بنصح أو إرشاد أو توجيه مما كان له أثر إيجابي وفعال على مسيرة البحث . كما أشكر أساتذتي المناقشين على صبرهم لقراءة هذه المذكرة وتقبلهم مناقشتها .

كما أتقدم بالشكر إلى معلمي وأساتذتي من المرحلة الابتدائية، الى المتوسطة الى الثانوية والجامعية خاصة أساتذة قسم الفلسفة بتلمسان ومستغانم . كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى العائلة وجميع الأصدقاء والأحباب والنزلاء بدون استثناء .

وأخيرا إلى كل من ساعدني -من قريب أو بعيد- في إنجاز هذا العمل .

قال تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)

1-2- المبحث الثاني: ما قبل الفعل الثوري، تأصيل تاريخي للعنف،

ترى أرندت نبوة لنين كانت صادقةً، عندما توقع بأن القرن العشرين إنما هو قرن الحروب والثورات؛ وبالتالي قرن العنف الذي عادة ما يُعتبر قاسماً مشتركاً بينهما، ودليلها "أن أدوات العنف قد تطورت تقنياً إلى درجة لم يعد من الممكن معها القول بأن ثمة غاية سياسية تتناسب مع قدرتها التدميرية، أو تبرير استخدامها حالياً في الصراعات المسلحة".¹

لا بد من طرح سؤال جوهري: ما هو العنف الذي يتحدث عنه الجميع؟ يذهب بعض الباحثين إلى أن العنف هو "سلوك أو فعل يتسم بالعدوانية يصدر من طرف قد يكون فرداً أو جماعةً أو طبقةً اجتماعيةً أو دولةً؛ بهدف استغلال وإخضاع طرفٍ آخر في علاقة قوة غير متكافئة اقتصادياً وسياسياً، مما يتسبب في إحداث أضرارٍ مادية أو معنوية أو نفسية لفردٍ أو جماعةٍ أو طبقةٍ اجتماعيةٍ أو دولةٍ أخرى، وهو أنماط العنف المشروع وغير المشروع المادي؛ كالمعنوي، اللفظي، الخطابية، الرمزية، الإشارية، والملمحي... إلخ".²

تؤكد أرندت إلى أن التمييز الضروري الذي يُفقد بأنه يجب علينا ملاحظة أن الثورات والحروب لا يمكن تصورهما خارج ميدان العنف؛ وحده يكفي لوضعهما كلاهما بعيدين عن الظواهر السياسية الأخرى، "إنه من الصعب الإنكار أن من أسباب تحول الحروب إلى ثورات، ومن أسباب الميل المشؤوم الذي أظهرته الثورات لإندلاع الحروب، هو أن العنف نوع من أنواع القواسم المشتركة بينهما، إن حجم العنف الذي انطلق في الحرب العالمية الأولى يكفي لإحداث ثورات بعد انتهاء تلك الحرب حتى من دون وجود عرف ثوري أو لم تكن قد حدثت ثورة في السابق على الإطلاق"³، وهذا ما يمكن ملاحظته في تاريخ البلدان التي خاضت حروباً طاحنة، فرغم مرور زمن طويل عليها إلا أنها تعود من جديد في شكل صراعات -حرب التحرير الجزائرية وما نتج عنها في العشرية السوداء- أو ثورات -البلدان العربية- ليبيا مثلاً-.

1- حنة أرندت، في العنف، تر: ابراهيم العريس، المصدر السابق، ص 05.

2- نبيل عبد الفتاح، النخبة والثورة: الدولة والإسلام السياسي والقومية الليبرالية، المرجع السابق، ص 235.

3- حنة أرندت، في العنف، تر: ابراهيم العريس، المصدر السابق، ص 23.

هذا التصور المعرفي للثورة، يدفع أرندت إلى تبريره بالعودة إلى "مشكلة البداية" على حدّ قولها، أي بداية البشرية "كما يرويها التراث التوراتي والكلاسيكي عن قتل "قابيل" لأخيه "هابيل" -ولدا "آدم عليه السلام"- بعد شجار نشب بينهما، و ذبح "رومولوس" أخاه "ريموس" طمعا في الملك"، إذ هي بداية متصلة بالعنف مباشرةً، وهكذا لما كان العنف هو البداية؛ فما من بدايةٍ يمكن إحداثها من دون استخدام العنف¹، وتضيف أرندت قائلة: "إن أي أخوةٍ تقدر عليها الكائنات قد نشأت عن قتل الأخ لأخيه، وأن أي تمظيم سياسي أنجزه البشر أصله في الجريمة، إن تصديق المعتقد القائل في البدء كانت الجريمة لا يقل عن تصديق الجملة الأولى للقديس جون في البدء كانت الكلمة لشؤون الخلاص".² وعليه فإنّ العنف والحرب والثورة يمكن تبريره إنطلاقاً من هذا الأساس وهو وجود شر أصلي كامن في الشؤون الإنسانية وظاهر في البداية الإجرامية للتاريخ البشري، لذا يقول "هوبز": "إن المواثيق في غياب السيف ليست أكثر من كلمات"³

والحقيقة أننا إزاء تاريخ إنساني يمكن وصفه بأنه تاريخ العنف وثقافته، ومن ثمّ يمكن القول: "إن ثقافة العنف والقتل والترويع والإرهاب، والكراهية هي أقدم الثقافات قاطبةً، وحاضرةً في قلب التفاعلات السياسية والاجتماعية في كافة مراحل التطور التاريخي والشعوب والأنظمة الاجتماعية والسياسية".⁴

تعود أرندت إلى الإرث اليوناني لتجد أن الدولة اليونانية كانت تعرف نفسها بشكل صريح بأنها "طريقة حياةٍ تقوم بشكلٍ حصريٍّ على الإقناع وليس على الإكراه والعنف، ومما يوضح أن هذا؛ (...). ما درج عليه عرف أثينا بـ "إقناع" المحكومين عليهم بالإعدام بالقيام بالانتحار وذلك بتجرع كأس السم، - لا شك أن أرندت تقصد سقراط- وبذلك يتم تجنب المواطن الأثيني الشعور بمهانة العنف الجسدي في الظروف كافة"⁵.

1- حنة أرندت، رأي في الثورات، تع: خيرى حماد، المصدر السابق، ص 21.

2- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 25.

3- حنة أرندت، في العنف، تر: ابراهيم العريس، المصدر السابق، ص 07.

4- نيبيل عبد الفتاح، النخبة والثورة: الدولة والإسلام السياسي والقومية الليبرالية، المرجع السابق، ص 238.

5- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 14.

ويعود غياب العنف عند الإغريق -حسب أرندت- إلى أن "شؤون السياسة عندهم ظلت مرتبطة بما هو داخل كيان الدولة أو المدينة اليونانية " أثنينا"، ولا يمتد إلى ما هو خارج عنها، لذلك ظل العنف دوما لا يستند إلى أدنى تبرير، فلم يكن لهم ما نجد اليوم من الشؤون الخارجية والعلاقات الدولية؛ إلا في مظاهر لا تتعدى العلاقات بين المدن الإغريقية نفسها، مع إستثناء واحد - تستدرك أرندت- وهو أن الحروب الفارسية هي التي ساعدت على توحيد المدن اليونانية كلها"¹.

وفيما يتعلق بأسباب العنف، تؤكد أرندت مفصلة في الموضوع: "أن يكون العنف أمرا ينتج عن الغضب؛ فمسألة يتفق عليها الجميع، ومن شأن الغضب والعنف حقاً أن يكون لا عقلانياً ومرضياً، لكن هذا لا يعني تجرد الإنسان من إنسانيته وتحوله إلى ما يشبه الحيوان، من المؤكد أن ما يكون مؤشراً واضحاً على إنتزاع الإنسانية عن الإنسان، هو غياب الغضب والعنف لا حضورهما، أي أنه ليس الغضب بأي حال من الأحوال رد فعل تلقائي إزاء البؤس والألم، "فما من أحد يتصرف تصرف الغضب إزاء داء لا دواء له، أو إزاء هزة أرضية، أو إزاء أوضاع إجتماعية تبدو له غير قابلة لأي تغيير؛ يطلع الغضب فقط حين تكون هناك إحتتمالات لحدوث تبدل في الأوضاع، لكن هذا التبدل لا يحدث فقط حين يחדش حس العدالة لدينا فإننا نتصرف بغضب لشعورنا بالظلم، وهو ما يبرهن عليه تاريخ الثورات جميعاً، حين يحدث دائماً أن يتحرك عدد من أبناء الطبقات في رد فعل على سوء الأوضاع والظلم، فيفقدون الثورات التي ينتفض فيها المضطهدون والبائسون، في مواجهة أحداث وشروط إجتماعية مثيرة للغضب، يكون ثمة إغراء كبير بضرورة اللجوء إلى العنف بسبب قدرته التفجيرية وميزته كعمل فوري."²

وتلفتنا أرندت نظرنا إلى أن العنف الذي هو أدواتي في طبيعته، يبدو واقعياً بالنظر إلى أنه يكون فعالاً في الوصول إلى الغاية التي من شأنها أن تبرره، وبما أننا حين نمارس فعلاً ما، لا نكون أبدا عارفين مسبقاً وعن يقين، مالذي ستكون عليه نتيجة ما نفعل، يمكن للعنف أن يبقى عقلانياً فقط في متابعته لأهداف على المدى القصير، وتعتقد أرندت أن

1- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 15.

2- حنة أرندت، في العنف، تر: ابراهيم العريس، المصدر السابق، ص 57.

"العنف لا يعزز من شأن القضايا، ولا من شأن التاريخ، ولا من شأن الثورات، ولا من شأن التقدم أو التأخر: لكنه بإمكانه أن يضفي طابعا درامي على المطالب وإيصالها إلى الرأي العام لافتا نظره إليها"¹

وفي السياق ذاته، تخلص أرندت إلى أن ثمة أوضاعاً تكون فيها القدرة التفجيرية للعنف الترياق الوحيد الناجع، ليس التنفيس العاطفي ما يهم هنا، إنه تنفيس كان بالإمكان الحصول عليه بالضرب على الطاولة أو بخبط الباب خبطة عنيفة -مثلا-، المهم هو أن العنف في ظروف معينة -العنف أي الفعل المنجز من دون إستشارة العقل، من دون كلام، ومن دون أعمال الفكر في النتائج -، يصبح هو الوسيلة الوحيدة لإعادة التوازن لميزان العدالة " إن ببلي باد الذي قتل الشخص الذي قدم شهادة مزورة ضده، يعتبر مثالا كلاسيكيا في هذا الصدد"²

"ومما لا شك فيه أن العنف أياً كان مجاله وسياقاته وظروفه ليس سلبياً في ذاته، ولكن توظيفات العنف ومن يستخدمه ولأية أهداف اقتصادية واجتماعية ودينية وسياسية، هي التي تساهم في عملية إضفاء التقويمات المعيارية والقيمية السلبية والإيجابية على العنف وظواهره وسلوكياته ومآلاته في سياقات محددة"³.

وفيما يخص مفهوم الإرهاب، ترى أرندت بأن "الإرهاب ليس هو العنف، إنه بالأحرى شكل الحكومة التي تحل في السلطة حين يكون العنف - بعد أن دمر كل سلطة- قد رفض التنازل عن مكانه؛ بل على العكس من ذلك يظل مُخضعا كل شيءٍ لسيطرته، ولقد لوحظ غالبا أن فعالية الإرهاب ترتبط كليا تقريبا بدرجة التفتت الإجتماعي"⁴، "وفي حالات معينة يصبح العنف إرهابا بحيث يستعمل الوسائل الوحشية -أثناء الثورة- ليس ضد أعداء الطاغية فحسب؛ بل أيضا ضد أصدقائه ومؤيديه، هنا تبدأ الدولة البوليسية بالتهام أبنائها"⁵.

1- حنة أرندت، في العنف، تر: ابراهيم العريس، المصدر السابق، ص 72.

2- حنة أرندت، في العنف، تر: ابراهيم العريس، المصدر السابق، ص 57.

3- نبيل عبد الفتاح، النخبة والثورة: الدولة والإسلام السياسي والقومية الليبرالية، المرجع السابق، ص 231.

4- حنة أرندت، في العنف، تر: ابراهيم العريس، المصدر السابق، ص 49.

5- حنة أرندت، في العنف، تر: ابراهيم العريس، المصدر السابق، ص 116.

وفي الحقيقة نجد أن "نشوء الشعب يقود المنطقة المتأثرة إلى حالة من الارتباك والفرضى الناتجة عن غياب القانون فتزداد جرائم القتل والسلب ويسود المنطقة جو من الارهاب وتتعرض حياة المواطنين الوادعة الآمنة الى المخاطر حين يسود العنف"¹

وفي معرض حديثها عن الدولة -السلطة-، "تؤكد أرندت على أنه بإمكان العنف أن يدمر السلطة، لكنه بالضرورة عاجزاً عن خلقها"²، وتعزو ذلك إلى أن "فاعلية السلطة تعتمد على العدد؛ بينما العنف لا يعتمد على العدد، حيث أن بإمكان رامٍ واحدٍ يحمل رشاشاً، أن يُخضع مئاتٍ من الناس المنظمين"³.

قد نختلف مع أرندت في رأيها بأن العنف شرط من شروط الثورة، "فقد تقوم ثورات بكل ما في الثورية من معنى، ولكنها لا تلجأ إلى العنف بمعناه التقليدي، وإنما تتبع الطريق الثوري الذي يبتر ولا يصلح، ويقيم من جديد ولا يرمم، وإن كان هذا الطريق يعني في حد ذاته إحتمال العنف، إذا وجدت الثورة ما يعترض طريقها وتعذر عليها علاجه بطريق اللاعنف"⁴.

ونعني بهذا أن الثورة ليست مصاحبة دائماً للقتال ونزيف الدماء، وإن كان الكثير منها قد يقترب من ذلك؛ بل "الثورة في أصلها عمل سلمي، لكن حالة الثورة التي يقابلها عنف حاد قد تصل إلى القناعة بضرورة الدفاع وحماية النفس فيصاحب الثورة تمرد مسلح، ولكن الثورة تبقى بهذا الإسم ما دام التمرد المسلح يبقى في حالات الدفاع المشروع الذي لا يتحول لاقتتال داخلي أو حالة حرب أهلية تستهدف المدنيين"⁵.

وما نأخذه عن أرندت قراءتها للحدث من جانب واحد، جانب العنف، متتاسية الجانب الأخر للحادثة وهو اللاعنف، "فالدفاع عن النفس حق تضمنه الفطرة الانسانية السوية وتقره

1- فاروق عبد الرحمن، دراسات حول قضايا الشعب وأسباب العنف، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، ط 02، 1991، ص 21.

2- حنة أرندت، في العنف، تر: ابراهيم العريس، المصدر السابق، ص 50.

3- حنة أرندت، في العنف، تر: ابراهيم العريس، المصدر السابق، ص 60.

4- حنة أرندت، رأي في الثورات، تع: خيرى حماد، المصدر السابق، ص 21.

5- سليمان العودة، أسئلة الثورة، المرجع السابق، ص 36.

شرائع البشر كلها، لكن تركه أحيانا يكون أقوى أثرا من ممارسته وأعظم نفعاً وأدعى لتحقيق الأهداف المطلوبة".¹

وينقل لنا التاريخ - ما يساند موقفنا - ما يسمى بـ"الثورات الملونة"، و"هي أعمال وحركات عصيان مدني لتحقيق مطالب بمقاومة سلمية، وقد تستخدم وشاحاً ذا لونٍ محدد وتنتهي عادة دون هدر دماء، ومنها ثورة يوغسلافيا، وجورجيا، ولبنان، وباكستان، والتبت، والثورة الخضراء في إيران... إلخ"²

وإذا كانت أرندت قد قررت في كتابها الشهير "في الثورة" أنه لا يمكن تصوّر الثورات خارج "ميدان العنف؛ فإن الثورات العربية قد نقضت هذه القاعدة، حين قامت بثوراتٍ سلمية، استطاعت بواسطتها أن تُسقط أنظمة دون أن تتلخّ أيدي الثوار بالدماء."³

واستخلاصاً يمكن القول: بأن السعي في نيل الحرية والديمقراطية لا يستقيم مع توسل أدوات ووسائل العنف، إذ لا بد من قدر من التناسب بين الأهداف -الحرية والسعادة مثلاً- والوسائل هنا، ولا معنى لأية مكيافيلية مبتذلة -الغاية تبرر الوسيلة- في هذا الإطار -والتي عادت إليها أرندت مراراً-، "وعليه حين تُحجم حركة احتجاجية أو ثورة عن استعمال العنف، بإسم العنف الثوري المشروع أو الدفاع الذاتي في وجه عنف السلطة وأجهزتها القمعية، وتتمسك بأسلوبها النضالي السلمي والنظيف، تحفظ لمطالبها صورتها الديمقراطية: ليس في نظر العالم الخارجي الذي يراقبها، وإنما أساساً في نظر شعبها، وما أغنانا عن القول إن تمسكها بهذا الأسلوب يوفر لها قاعدة مشاركة شعبيةٍ أوسع، أما اللجوء إلى العنف فيحدث فرزاً داخل المجتمع المحتج تكون نتيجته أن المندفعين وراء أسلوب العنف يتحولون إلى أقلية معزولة تخوض معركة غير متكافئة مع أجهزة الأمن أو الجيش".⁴

1- محمد كمال الشريف، مقالات عن الثورة السورية، ورقة بحثية، المرجع السابق، ص 42.

2- سليمان العودة، أسئلة الثورة، المرجع السابق، ص 37.

3- نواف عبد الرحمان القديمي، الإسلاميون وبيع الثورات: الممارسة المنتجة للأفكار، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة قطر، د ط، 2012، ص 03.

4- عبد الإله بلقزيز، ثورات وخيبات في التغيير الذي لم يكتمل، تق: محمد الحبيب طالب، المرجع السابق، ص 149.

المبحث الثاني :

1-2- ما قبل الفعل الثوري، تأصيل تاريخي للعنف،

"كُلُّ عُنْفٍ هُوَ وَسِيلَةٌ ؛ إِمَّا لِفَرْضِ حَقٍّ أَوْ لِلحِفَاظِ عَلَيْهِ،
وَعِنْدَمَا لَا يُنْسَبُ لِأَيِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَإِنَّهُ يَفْقَدُ مِنْ تَلْقَاءِ
ذَاتِهِ كُلَّ مَصْدَاقِيَّتِهِ."

والتر بنجامن.

المبحث الثالث :

1-3- التغيير الثوري، في سبيل الحرية والتحرر.

"إِنَّ التَّخَلِّيَّ عَنِ الحُرِّيَّةِ؛ هُوَ بِمَثَابَةِ
التَّخَلِّيِّ عَنِ أَنْ تَكُونَ إِنْسَانًا"

روسو

المبحث الثاني:

2-2- ثنائية الحرية والسعادة، في خيارات الثورة الأمريكية
والفرنسية.

" إن كلمة ثورة لا تنطبق إلا على الثورات التي يكون هدفها الحرية "

كوندورسيه

1-2- المبحث الأول: الثورتان الأمريكية والفرنسية، بحث في القضية الاجتماعية.

تقول أرندت في كتابها في الثورة: "لقد أصيبت الحياة الإنسانية منذ أقدم عصور التاريخ بلوثة الفاقة، وما زال الجنس البشري يعمل في ظل لعنتها في جميع البلاد التي تقع خارج نطاق نصف الكرة الغربي، ولم تستطع أية ثورة حتى الآن حل المشكلة الاجتماعية وتحرير الناس من حالة الفقر"¹.

لقد ساعد الفقر والخصاصة والتهميش وازدراء الناس على كسر أغلال الاضطهاد، والثورة على الظلم والتفاوت والاستغلال، والمطالبة بالعدالة والحرية؛ وبالتالي كانت الثورة في معظمها وفي أصلها من أجل المسألة الاجتماعية، _الفقر كحالة إجتماعية مميزة_ وذلك بالاحتجاج على الظروف المعيشية السيئة، والغضب على العقبات التي يواجهها الشعب في إيجاد فرص الشغل، هكذا كانت الشرائح الأكثر بؤساً والأكثر ابتلاء من الفقراء والمحرومين هي التي خرجت في الصفوف الأمامية للاحتجاجات، وتحول المحملون بالبؤس والشقاء وضحايا الفساد الناتج عن البيروقراطية والمحسوبية الى طلائع حقيقية للثورة.

فبيئة الثورة كما يقول "سلمان العودة" - صاحب كتاب "أسئلة الثورة"-: "هي الغضب المتراكم بسبب: الفساد، والبطالة، والفقر، والتخلف والبؤس والظلم والاستبداد، وهشاشة الأمان الاجتماعي والإنساني، وجحيمية الحياة اليومية، والحرمان الاجتماعي والسياسي، والإهانة وانعدام الحريات، وسوء تعامل أجهزة الأمن مع الناس، وإذلال المواطن كطريقة عادية للعلاقة بين الأفراد وبين جهاز الدولة"².

ولئن كانت الحرية هي هدف الثورة، فإن السبب الرئيسي في اشتعالها، في الخبرة الغربية، هو الفقر وهي خلاصة أرندت في مؤلفها "في الثورة"، فالمسألة الاجتماعية بدأت تؤدي دوراً ثورياً في العصر الحديث وليس قبله، فهي التي أشعلت الثورة في أمريكا ثم أوروبا

1- حنة أرندت، رأي في الثورات، تع: خيرى حماد، المصدر السابق، ص 137.

2- سليمان العودة، أسئلة الثورة، المرجع السابق، ص 42.

ونعني -الثورة الأمريكية* والثورة الفرنسية** -، والتي تحققت عبر عملية إدراك ذهني مركبة - كما تسميها أرندت-، حصلت عندما بدأ التشكيك العقلي في أن الفقر صناعة -يمكن تجاوزه- وليس قدرا-محتوما-، وبعد أن حصل الاقتناع أيضا بأن الأرض مشبعة بالوفرة- غنية بالخيرات-، وليست قاحلة بالنزرة-شحيحة-، وتحصيل هذا الوعي بالفقر كان الشرط الجوهرى الذى يفسر اشتعال معظم تلك الثورات، "فلقد قال الفيلسوف الإغريقي "سقراط": إن الفقر هو أب الثورة"¹

تقول أرندت عن بداية هذا الإدراك "إن "ماركس"*** ساعد الفقراء ليس بإنبائهم بأنهم تجسيد حي لضرورة تاريخية ما أو غيرها؛ بل بإقناعهم بأن الفقر ذاته هو ظاهرة سياسية وليس ظاهرة طبيعية، وأنه نتيجة العنف والإنتهاك وليس نتيجة الشحة"²، وتعني أرندت أنه وبفضل كارل ماركس ونظرياته الاقتصادية استطاع أن يغرّس فكرة أن الفقر ليس تمييزاً حتمياً وأزلي لا يمكن التخلص منها -كما أشرنا سابقاً- أو لعنة إلهية لا يمكن تفاديها، إنه وحسب "ماركس" شيء يمكن تفاديه والتخلص منه، سببه الأساسي لا يرجع بتاتا إلى شحة الأرض فهي على العكس مشبعة بالخيرات، وإنما هو في الحقيقة نتيجة العنف والانتهاكات الإجرامية الطبقيّة.

ففي بيانه الشيوعي -أي ماركس- "الذي أصدره عام 1848 ذهب فيه إلى أن تغيير النظام لا يتم بالمؤامرة ولا بالإقناع؛ بل بتنظيم الطبقة العاملة -الفقراء- واستيلائها على الحكم بعد أن يتم لها وعي طبقي يسمح لها بالتعاون والاتصال على المستوى الدولي"³، إذ يرى أن تغيير هذا الوضع لا يكون إلا بوعي طبقي لدى تلك الطبقة، يمكنهم من التصدي لأشكال العنف والاستغلال والحرمان.

*- أنظر التعريف به في الملاحق، ص 64.

** أنظر التعريف به في الملاحق، ص 64.

1- جهاد عودة، الثورات العربية وأثرها على طبيعة التغيير الدولي، ورقة بحثية، دط، القاهرة 2013، ص 05.

***- أنظر التعريف به في الملاحق، ص 60.

2- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 86.

3- أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، دار المعارف، القاهرة مصر، ط 05، 1995، ص

نفهم إذا من كلام "ماركس"، "أن الصراع بين الطبقات -والذي بإمكانه أن يتحول إلى فعل ثوري- ينشأ بين عاملين، الأول الضغط أو الظلم الذي يقع حقيقة أو بتأثير الوهم والخيال من طبقة على أخرى، والثاني تيقظ شعور الطبقة التي تعتبر نفسها مظلومة وإحساسها بكيانها وبقوتها وبأهميتها في المجتمع وتبلور مطالبها تجاه الطبقة العليا وسعيها للحصول على حقوقها"¹

يقول "جون آدمز"* عن هذا الوضع "إن ضمير الرجل الفقير ضمير مرتاح، إلا أنه يشعر بالخزي، إنه يحس بنفسه خارج أنظار الآخرين، متخبطاً في الظلام، إن الجنس البشري لا يحس بوجوده، إنه يهيم على وجهه ويطوف وما من أحد يلتفت إليه، أن يكون المرء موضع التجاهل التام لهو أمر لا يطاق"² إنه، سواءً أكان وسط الجمهور أم في كنيسة أم في سوق، فهو في عزلة مطبقة وكأنه في حجرة مسقوفة تحت السقف أو في قبو تحت الأرض، ما هو إلا المنبوذ الذي لا يُرى.

لذلك تصف أرندت الفقر بعبارات دقيقة وعميقة : "إن الفقر هو أكثر من الحرمان؛ إنه حال من الحاجة المستمرة والشقاء الحاد، الذي يكمن خزيه في قوته التي تجرد الإنسان من إنسانيته."³، وبذلك فقد "لا يكون الفقر والبطالة فقط أسباب قيام الثورات في -العالم- وإنما الشعور بأن هناك من هم أغنياء يقومون باستغلالهم -الفقراء-، ويظهر هنا الوعي السياسي والثقافة السياسية للقيام بفعل ثوري للتقليل أو الحد من هذا الشعور، والقضاء على أسبابه"⁴.

ويمكن أن نورد رأي "أرسطو"* في هذه المسألة "فقد لاحظ أرسطو أن عيب الطبقات الغنية هو الزهو على حين أن عيب الطبقات الفقيرة هو الحسد أو الانحراف أو الجهل، أما الطبقة الوسطى فإنها تمتاز بمرونتها وخضوعها لأوامر العقل، والحق أنه يصعب الاستماع

1- أندريه جوسان، طبقات المجتمع، تر محمد بدوي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة مصر، ط 02، 2011، 156.

*- أنظر التعريف به في الملاحق، ص 59.

2- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 95.

3- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 82.

4- جهاد عودة، الثورات العربية وأثرها على طبيعة التغيير الدولي، ورقة بحثية، المرجع السابق، ص 04.

** - أنظر التعريف به في الملاحق، ص 59.

إلى صوت العقل عندما يكون المرء ممتعا بامتيازات غير عادية كالامتيازات التي يضيفها شرف المولد أو الثراء أو عندما يكون مصابا بشعور بالغ بالنقص ينجم عن الفقر أو الجهل".¹

من جهة أخرى تنبه أرندت إلى أنه وإذا كان للمسألة الاجتماعية دور هام في الثورة بتحقيق الوفرة والسعادة للشعب؛ فكذاك تعتبر السبب الرئيسي الذي يؤدي بالثورة إلى الإرهاب والمصير الدموي، وهذا لمحاولة الثوار حل المسألة الاجتماعية قبل حسم بناء الحرية.

أن الثوار غالبا وبعد التحرر من الطغيان والظلم، وعندما يرون بأعينهم البؤس والفقر المستشري حولهم، تدفعهم شفقتهم التي تسيطر عليهم إلى حل مشكلة الفقر قبل أن تتم الثورة غايتها، أي بناء مؤسسات الحرية، أي أن مشهد الفقر المستشري حولهم يستولي عليهم فينسيهم توقعهم الأصلي للحرية الذي دفعهم بادئ الأمر للثورة.

« A Revolution, a War, the Dissolution of Government, the creating of it anew, Cruelty, Rapine and Devastation in the midst of our very Bowels, these Sir are Circumstances by no means favorable to finance.»²

ويعني ذلك أن « الثورة والحرب، تؤدي إلى انحلال الحكومة وخلق القسوة، وسلب الحرية، والتخريب، وبالتالي هلاك في الجانب الإقتصادي، والتأخر عن ركب الدول. »

تقول أرندت في هذا الصدد: " لقد كانت الضرورة والحاجات الملحة للناس هي التي أطلقت العنان للرعب وأدت بالثورة إلى مصيرها المحتوم، (...) يقول "روبيبير" * في خطابه الأخير: "إننا سنهلك لأننا؛ في تاريخ الجنس البشري، قد فاتتنا لحظة العثور على الحرية"³

1- أندريه جوسان، طبقات المجتمع، تر محمد بدوي، المرجع السابق، ص 149.

2 - David F.Burg ; *The american Revolution; updated ed.2007, 2001by Infobase Publishing. P.348.*

*- أنظر التعريف به في الملاحق، ص 60.

3- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 83.

تعني أرندت بذلك أن كل محاولة لحل مسألة الفقر قبل بناء الحرية تنتهي بالثورة لنهايتها المشؤومة؛ إذ أن حل مشكلة الفقر، يستلزم قرارات سريعة وحاسمة، وحكومة قوية، فيستنتج الثوار ضرورة وجود دكتاتورية مؤقتة تضع هذه الحلول لمشكلة الفقر، ثم تمهد الطريق نحو الحرية، ومن هذه النقطة يبدأ مسلسل الدماء الذي يؤدي بالثورة لمصيرها المحتوم.

والثورة الوحيدة التي استطاعت أن تتجزأ بناء الحرية دون أن تعطل من مسيرتها مسألة الفقر؛ هي - بحسب أرندت - الثورة الأمريكية، وهذا يعود إلى أن العالم الجديد كان غنيا نوعاً ما وأن الحكومة التي تار عليها الأمريكيون لم تكن حكومة ملكية مطلقة؛ بل كانت ملكية دستورية، إلا أن السمة الأساسية التي قاد الثورة الأمريكية للنجاح هي أنه تم بناء الدستور أولاً الذي منه انبثقت المؤسسات التي تحمي الحرية من كونجرس ومحكمة عليا وغيرها، والتي في داخلها بدأ المختلفون يتنافسون ويتصارعون كل من أجل تحقيق مصالحه وطموحاته.

تقول أرندت في هذا الصدد: "لقد غدت القارة الجديدة مأوى وملجأ وموقع إجتماع الفقراء فقد نشأ جنس جديد من الرجال شدتهم الخيوط الحريرية لحكومة معتدلة، وهم يعيشون في ظل ظروف من تماثل مريح أزيلت منه مقولة إن الفقر المطلق أسوأ من الموت".¹

وتضيف أرندت وبشكل مفصل "لم تكن أمريكا فقط أرض الحرية وموئل الفضيلة وملاذ المضطهدين، بل كانت كذلك أرض الميعاد لأولئك الذين لم تهيئهم أحوالهم لإدراك الحرية أو الفضيلة، إنه الفقر في أوروبا الذي تار لنفسه في الخراب الذي يهدد الرخاء الأمريكي ومجتمع الجموع الأمريكي والميدان السياسي بأسره، إن الحلم الأمريكي هو الحلم بأرض الميعاد، حيث يسيل اللبن والعسل، وبما أن التطور في التقنية الحديثة سرعان ما حقق هذا الحلم بشكل يفوق أكثر التوقعات إفراطاً، فقد كان من الطبيعي أن يكون لدى الحالمين بتأثيره شعور بأنهم حقا صاروا يعيشون في أفضل عالم ممكن في الوجود".²

1- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 32.

2- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 197.

فلقد كانت أمريكا - وكما يشير الباحثون المتخصصون في التاريخ- "في السنوات الأولى من السبعينيات من القرن الثامن عشر تتميز بأنها سنوات الرخاء، لكن هناك ضغوط وأزمات اقتصادية في أمريكا المستعمرة، ولكن لم يحدث أن ناخث طبقة من جراء الفقر".¹

وفي حديثها عن الثورة الفرنسية وتفاعلها مع المسألة الاجتماعية تقول أرندت: "إن الثورة الفرنسية حين تحولت من تأسيس الحرية إلى تحرير البشر من المكابدة، قد حطمت حواجز التحمل وحررت بديلاً من ذلك القوى الغاضبة والشديدة الإنفعال المدمرة والساحقة والناجمة عن العقم وسوء الطالع والبؤس هو الذي أدى بالثورة إلى مصيرها المحتوم"².

وتلك هي الحقيقة المرعبة -في نظر أرندت- "فمعظم الثورات التي سارت حذو الثورة الفرنسية التي إستغلت عنف البؤس في الثورة ضد الإستبداد والإضطهاد قد فشلت، والتاريخ يكشف أن كل محاولة من محاولات حل المسألة الاجتماعية بوسيلة سياسية إلا أدت إلى الإرهاب الذي يؤدي بالثورات إلى مصيرها المحتوم"³.

تبين لنا أرندت حقيقة الأمر من ناحية ماركسية فنقول: "إن ماركس الشاب كان قد إقتنع بأن سبب فشل الثورة الفرنسية في تأسيس الحرية هو أنها فشلت في حل المسألة الاجتماعية، لقد إستنتج من هذا أن الحرية والفقر هما أمران متضاربان، إن الذي تعلمه من الثورة الفرنسية هو أن الفقر يمكن أن يكون قوة سياسية من الطراز الأول"⁴

يقول "كرين برنتون" صاحب كتاب تشريح الثورة- في هذا الشأن: "فالشيء المهم الذي نلاحظه هو أن التاريخ الفرنسي؛ مليئاً بأخبار المجاعات والأوبئة والمحاصيل السيئة،

1- كرين برنتون، دراسات تحليلية للثورات، تر: عبد العزيز فهمي، مر: محمد أنيس، الهيئة العامة لقصور المعرفة، القاهرة مصر، د ط، 2010، ص 23.

2- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 154.

3- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 154.

4- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 85.

وقد كانت اقليمية أحيانا، وقومية أحيانا أخرى من حيث الانتشار، وكان أكثرها مصحوبا باضطرابات متقطعة، ولكن في كل حالة كانت احداها فقط هي التي تصحبها الثورة¹

كما يؤكد الباحثون المتخصصون في الاقتصاد السياسي الفرنسي على حجم خطورة المسألة بقولهم "وتبقى الفكرة الملحة وهي أنه لا بد أن الناس الذين صنعوا الثورة الفرنسية كانوا بطريقة أو بأخرى يعانون حرمانا اقتصاديا خطيرا...، ولقد أمضى "س.أ. لافروس" - وهو باحثة معاصر مشهور جدا - يكافح في البحث في الأسعار في فترات زمنية متسلسلة في دلائل اقتصادية وما أشبه ذلك خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر في فرنسا، ساعيا إلى اثبات أن الفقراء وأصحاب الدخل المتوسطة كانوا يضيقون بالأسعار إلى حد حفزهم على الثورة بسبب ما أحسوه من عوز فعلي، أو على الأقل من عناء (...)"²

فبالإضافة إلى الفقر والحرمان الذي عانى منه أغلبية الشعب الفرنسي، نجد أن الأمر تخطى إلى أكثر من ذلك إلى الظلم القاتل بفرض الضرائب على الفقراء ذاتهم، وإعفاء الأغنياء منها، فالقد ظهر للأعيان قبيل الثورة الفرنسية أن إعفاء النبلاء من الضرائب كان ينطوي على ظلم صارخ، وإلى جانب إعفائهم من الضرائب أصبح النبلاء في العصور المتأخرة لا يؤدون كذلك الخدمة العسكرية³.

وفي معرض حديثها عن الفقر عموما تشير أرندت إلى حقيقة تاريخية هامة في قولها: "أن يغمض المرء عينيه عن البؤس والتعاسة لأغلبية البشرية لم يكن ممكنا في باريس في القرن الثامن عشر، أو في لندن في القرن التاسع عشر، كما أنه أمر غير ممكن اليوم في بعض الأقطار الأوروبية ومعظم الأقطار في أمريكا اللاتينية وفي كل الأقطار الآسيوية والإفريقية تقريبا"⁴.

وكمناقشة سريعة لما أوردناه في هذا المبحث، في أن المسألة الاجتماعية تعد سبب رئيسي كاف لإندلاع الثورات فمتى توفر وتحقق هذا السبب؛ كانت النتيجة ومن دون شك

1- كرين برنتون، دراسات تحليلية للثورات، تر: عبد العزيز فهمي، مر: محمد أنيس، المرجع السابق، ص 25.

2- كرين برنتون، دراسات تحليلية للثورات، تر: عبد العزيز فهمي، مر: محمد أنيس، المرجع السابق، ص 23.

3- أندريه جوسان، طبقات المجتمع، تر محمد بدوي، المرجع السابق، ص 154.

4- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 101.

ثورة، إذ ترى أن من سمات الثورة الناجحة أن تسبقها ضرورة تدعو إليها، كالفقر وحاجة الناس، لكن الفيلسوف "تروتسكي" يرى غير ذلك إذ يقول: "في الحق إن مجرد وجود الحرمان ليس كافياً لحدوث ثورة... ولو أنه كان كذلك؛ لكانت الجماهير في ثورة على الدوام، فمن الواضح أن البؤس الاقتصادي للمحرومين من الامتيازات ولو أنه يصحب الوضع الثوري فهو ليس من الأعراض التي تتطلب التمسك بها وهذا ما يعترف به الماركسيون الأشد مرونة"¹.

كما نجد أن أرندت تخرج عن الموضوعية - التي كثيراً ما إلتزمت بها في مواطن عدة، حيث نلمس تعصبها لوطنها الثاني في أمريكا ربما بدافع الإلتزام العرقي، وهذا ما لا يجب ان يقع فيه الباحث "فهو تؤكد أن الفقر يسود جميع أنحاء العالم باستثناء نصف الكرة الغربي، وهذا القول يخالف الحقيقة لثلاثة أسباب، أولها ما قد يقال عن اختفاء الفقر في الولايات المتحدة لا يقال عن بقية أجزاء القارة الأمريكية بشمليها وجنوبيها ووسطها، وثانيها أن الولايات المتحدة نفسها لا تخلو من الفقر، وهذا ما اعترفت به صحف أمريكا نفسها وكان الموضوع تحقيق طويل في "صحيفة النيوزويك" الواسعة الانتشار قبل بضعة أشهر أما السبب الثالث، فهو أن الدول التي تسير على النظام الإشتراكي تحارب الفقر وقد تمكنت دول كثيرة منها من الانتصار عليه على حين لا تزال الباقية تكافح لتحقيق النصر"².

1- كرين برنتون، دراسات تحليلية للثورات، تر: عبد العزيز فهمي، مر: محمد أنيس، المرجع السابق، ص 25.

2- حنة أرندت، رأي في الثورات، تع: خيرى حماد، المصدر السابق، ص 137.

المبحث الثاني:

1-2- ثنائية الحرية والسعادة، في خيارات الثورة الأمريكية
والفرنسية.

" إن كلمة ثورة لا تنطبق إلا على الثورات التي يكون هدفها الحرية "

كوندورسيه

الفصل الثاني:

2- أرندت و تجربة الثورة الحديثة (الأمريكية الفرنسية أنموذجاً)،

قراءة في المقدمات، السياق والنتائج.

2-1- المبحث الأول : الثورتان الأمريكية والفرنسية ، بحث في

القضية الإجتماعية.

2-2- المبحث الثاني : ثنائية الحرية والسعادة، في خيارات الثورة

الإمريكية والفرنسية.

2-3- المبحث الثالث : عن مآلات الثورة، أمريكا وفرنسا نحو حقوق

الإنسان.

إن كلا من الثورتان الفرنسية والأمريكية تفخر

بأنها دشنتت محصرا جديدا للإنسانية جمعاء بصفتهم

بشرا؛ بصرف النظر عن أين يعيشون، وما هي

ظروفهم وما هي جنسيتهم.

حنة أرندت

الفصل الثاني



1-3- المبحث الثالث: التغيير الثوري، في سبيل الحرية والتحرر.

في سياق حديثها عن تاريخ الحروب والثورات تقول أرندت: " لم تبق هناك إلا قضية واحدة؛ هي أقدم القضايا الإنسانية كلها، وهي التي قررت منذ وعي التاريخ نفسه وجود السياسة وجوهرها، وأعني بها قضية الحرية"¹.

قبل أن نفصل في الموضوع لا بد من طرح سؤال أساسي: ما المقصود بالحرية؟ "الحرية هي الوضعية التي يكون عليها كائن لا يخضع لإكراه، بحيث يتصرف حسب ما تمليه عليه إرادته وطبيعته، وتكمن الحرية في القدرة على فعل كل ما لا يضر بالغير؛ بهذا المعنى فمفهوم الحرية يتعارض من جهة مع التسبب، ومع الاضطهاد من جهة أخرى"²، ويمكن القول بأن ما يجمع الحريات جميعا هو "التحرر من القيود، أكانت تلك القيود ما يسمى بـ نير الاستعمار، أم جيش الاحتلال أم الأنظمة السائدة أم مصالح طبقية.... الخ"³.

ترى أرندت بأن الحرية ليست ظاهرة سياسية، وإنما على العكس هي "السلسلة الحرة من الأفعال غير السياسية التي يبيحها كيان سياسي معين ويضمنها للأفراد الذين يكونون هذا الكيان"⁴، وتضيف قائلة إن "الحقل الذي عرفت فيه الحرية دوما كواقعة من وقائع الحياة اليومية وليس كمشكلة هو بالتأكيد الحقل السياسي، إن الحرية -كحدث يقبل البرهنة عليه- والسياسة يتطابقان وهما مرتبطتان فيما بينهما مثل جانبي شيء ما"⁵

وتمضي قائلة بالجملة: إن من الأمور الجوهرية جدا إذا في أي فهم للثورات في العصر الحديث؛ أن تتزامن فكرة الحرية مع التجربة لبداية جديدة -الثورة-، يعني أن الحرية والثورة شيء واحد فلا يمكن تصور إحداها دون الأخرى، أي لا ثورة دون أن يكون هدفها الحرية، ولا طلب للحرية -أي لا يمكن نيلها- إلا بالثورة.

1- حنة أرندت، رأي في الثورات، تع: خيري حماد، المصدر السابق، ص 11.

2- محمد الهلالي وعزيز لزرقي، دفا تر فلسفية نصوص مختارة: الحرية، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 01، 2009، ص 10.

3- سري نسيبة، الحرية بين الحد والمطلق، دار الساقى، بيروت لبنان، ط 01، 1995، ص 51.

4- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 39.

5- محمد الهلالي وعزيز لزرقي، دفا تر فلسفية نصوص مختارة: الحرية، المرجع نفسه، ص 70.

وركزت أرندت على إمكانية فشل بعض الثورات في بناء الديمقراطية؛ إلا أنها "تتفي إمكانية الحديث عن ثورات في العصر الحديث لا تتوق إلى تحقيق المهمة الأولى أي التحرر، إن التوق إلى التحرر وإلى بناء بيت جديد، حيث يمكن أن تستوطنه الحرية هي روح لا مثل لها في التاريخ السابق بأسره، وهذه الروح هي من مميزات الروح الحديثة أيضاً"¹، و أوضحت أنه إذا كانت الثورة "قد هدفت فقط إلى ضمان الحقوق المدنية، فهي إذاً ما كانت لتهدف إلى الحرية؛ وإنما إلى التحرر من الحكومات التي تجاوزت سلطاتها وأنتهكت الحقوق القديمة والثابتة، والصعوبة هنا هي أن الثورة كما نعرفها في العصر الحديث كانت دائماً معنية بالتحرر والحرية معاً".² لذا أقر المفكر الفرنسي "كوندورسيه"^{*} بأن مفردة "ثورة" لا تنطبق إلا على الثورات التي يكون هدفها "الحرية".

فالحرية تتطلب من الإنسان التحرر من كل القيود الخارجية ومن سائر الحدود الموضوعية، و"عندما تصل الذات إلى التحرر فعلا من كل عبودية (يستوي في ذلك أن تكون عبودية الطبيعة، أو المجتمع، أو الدولة، أو الآلية، أو الطبقات...ألخ) فإنها عندئذ قد تستطيع أن تعلق عن نفسها، وأن تصل بالتالي إلى درجة الإنتصار الروحي، ومعنى هذا أن تحقيق الذات يستلزم العمل على التحرر، والتحرر هو السبيل الأوحى للوصول إلى مستوى الحياة الروحية الصحيحة، وما الحرية في النهاية سوى تلك الروح التي تنبثق في الإنسان حينما يصل إلى التحرر من قيود الطبيعة"³، ومن قيود الظلم.

وبما أن التحرر عند أرندت هو "عدم وجود الكبح وامتلاك" القدرة على النقل" هو حقا شرط الحرية، ما من أحد يتمكن أبداً من أن يصل إلى مكان تسود فيه الحرية إن لم يكن

1- عزمي بشارة، في الثورة والقابلية للثورة، المرجع السابق، ص 40.

2- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 44.

*- أنظر التعريف به في الملاحق، ص 59.

3- زكرياء إبراهيم، مشكلات فلسفية: مشكلة الحرية، مكتبة مصر ودار الطباعة الحديثة، القاهرة مصر، ط 02، 1963، ص 240.

قادرا على الحركة بلا كبح، فإن من الصعب جدا القول أين تنتهي الرغبة بالتحرر وفي أن تكون حرا من الإضطهاد، وأين تبدأ الرغبة بالحرية بصفقتها الطريقة السياسية للحياة".¹

وفي هذا الإطار ترى حنة أرندت أن "ما من قضية غيبت من طرف العلوم العصرية الزائفة - كما تصفها - مثل قضية الحرية، وحتى الثوريون - الذين لا معنى لوجودهم بدون فكرة الحرية - لا يرون بأن هدف الثورة هو الحرية أصلا، وإنما يرون بأن الحرية هي حكم مسبق من أحكام طبقاتهم الوسطى"²، فهي بذلك تنتقد الثوريين الذين أنزلوا مرتبة الحرية إلى حكم مسبق من أحكام الطبقة الوسطى، ولا يعترفون بأن الحرية كانت ولا تزال الهدف الرئيسي لثورتهم.

قد يكون من الحقيقة البديهية أن نقول "إن التحرر والحرية ليسا مثل بعضهما، وأن التحرر قد يكون شرط الحرية ولكنه لا يقود إليها آليا، وإن فكرة الحرية التي ينطوي عليها التحرر لا يمكن أن تكون إلا سلبية لذا فحتى النية في التحرر لا تشابه الرغبة في الحرية، ولئن كانت مثل هذه الحقائق البديهية منسية في غالب الأحيان، فذلك لأن التحرر كان هو الطاعي دائما وأن أساس الحرية كان دائما يلفه الغموض، إن لم نقل إنه كان عقيما بالكامل"³.

لنفرض أن شخصا ما مقيدا بسلاسل؛ هو الآن ليس حرا، وبعد عدة محاولات استطاع التخلص من قيوده والهرب، وبدأ الذين قيده أول مرة بملاحقته، هو الآن تحرر من قيوده؛ لكنه هارب ومهدد بأنه في أية لحظة قد يتم القبض عليه وإعادته لتلك السلاسل، أي أنه ليس حر لمجرد التحرر من قيوده، لن يمارس حريته ما لم يجد بعد طريقة ما يستطيع بها منع الذين يلاحقونه من إعادته لقيوده.

تعود أرندت كما عادت إلى الأصول و السياقات التاريخية التي أحاطت بتشكيل المفاهيم، لتكتشف أن مفهوم الحرية "تبلور بداية في المجال السياسي، لكن الفلسفة فيما بعد

1- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 44.

2- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 13.

3- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 39.

قامت بترحيله إلى مجال "الذات" لتصبح الحرية خاصية "ذاتية" (...)، لذا فهي ترى بأن الحرية كظاهرة سياسية كان ظهورها معاصرا لنشوء المدينة -الدولة الإغريقية تلك الدولة التي وصفها الشاعر الأغريقي "هيرودوت" بأنها شكل من التنظيم السياسي يعيش فيه المواطنون معا تحت ظروف من اللاحكم ودون فصل بين الحكام والمحكومين، كانت الحرية في الزمن الإغريقي شكلا من التنظيم السياسي الجماعي الذي يعيش الناس في ظله خارج كل هيمنة أو تمييز بين الحاكم والمحكوم، حيث نجد أن فكرة اللاحكم هذه قد جرى التعبير عنها فيما بعد بفكرة المساواة أمام القانون¹.

والسبب في الإصرار على العلاقة المتداخلة بين الحرية والمساواة في الفكر السياسي اليوناني على حسب أرندت هو "أن الحرية إنما كانت تفهم بصفتها ظاهرة في فعاليات إنسانية معينة، وإن تلك الفعاليات لا يمكن أن تظهر وتكون حقيقية إلا حين يراها الآخرون ويحكمون عليها ويتذكرونها، إن حياة إنسان حر تحتاج إلى وجود آخرين، إن الحرية ذاتها تحتاج لذلك إلى مكان يمكن أن يلتقي فيه الناس، ساحة عامة أو سوقا أو مدينة -دولة أي المجال السياسي المناسب"².

تضيف أرندت أن اليونانيين كانوا "يرون أنه لا يمكن لأحد أن يكون حرا إلا وهو بين نظرائه، ولذلك فإنه لا المستبد ولا الطاغية ولا رب البيت -وإن كان قد تحرر بالكامل ولا يضغط عليه أحد - كان حرا، إن منطق هيرودوت في معادلة الحرية باللاحكم هو أن الحاكم نفسه ليس حرا، إنه بتوليئه الحكم على الآخرين يكون قد حرم نفسه من النظراء الذين بصحبتهم يكون حرا، بعبارة أخرى قد حطم المجال السياسي نفسه"³، فالحرية بذلك تتطلب المساواة والتكافؤ، فلا حرية في التمايز السياسي أو الطبقي الإجتماعي.

وبالرغم من أن معظم إن لم يكن كافة الثورات تتادي بالحرية، إلا أن تعريف الحرية اختلف من ثورة لأخرى ومن موقف لأخر في كل ثورة، "فعلي سبيل المثال كانت الثورة

1- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 40.

2- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 42.

3- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 41.

الأمريكية قد نادت بالحرية والتحرر، ولكن معظم قادتها كانوا من ملاك العبيد ولم يخطر علي بالهم المناداة بالحرية أيضا لهؤلاء العبيد، بما يزعم مقولتي الحرية والمساواة التي تتادي بها الثورات¹، لهذا غيرت الثورة الأمريكية شعارها من الحرية والتحرر إلى السعادة العامة وتحقيق الوفرة للشعب.

فمن الغريب وصف أرندت للدول الغربية بالعالم الحر، تسمية العالم الحر ليست في محلها؛ لأن هذه الدول بعيدة عن الحرية بعد المشرق عن المغرب، "فهل يمكن تسمية إضطهاد السود والهنود الحمر في إمريكا، والتفرقة العنصرية في جنوبي إفريقيا وغير ذلك من التجاوزات والظواهر؛ حرية، لقد فقدت الحرية في هذه التسمية معناها الصحيح، وأصبحت ستارا يخفي أهدافا سياسية معينة"².

ومما يؤخذ على أرندت قولها: "كان دائما أساس الحرية مهمش من تاريخ الفكرين الفلسفي والديني، طيلة تلك القرون التي تبدأ في إنحطاط العصور القديمة وتنتهي بمولد العصر الجديد، والتي إنعدمت فيها الحرية السياسية"³، إلا أننا نجد أن قولها هذا يمكن أن يؤخذ من ناحيتين؛ الأولى إذا كان حكمها هذا مبني على الخصوص، أي أن القرون التي حددتها هي بالنسبة لأوروبا، وهي بذلك محقة إذ أن أوربا كانت تعيش في ظلام دامس لا تدري للحرية أي معنى، أما إذا كان قولها ذاك مبني على العموم فهو خاطئ لأنها أهملت الحضارة العربية التي كانت في اوج أمجادها وكانت تعرف معنى الحرية السياسية تمام المعرفة، وطبقته في مختلف عصورها تمام التطبيق، وليس أدل على ذلك من نظام الشورى عندها ومن محاسبة العرب لخلفائهم وحكامهم.

1- وفاء لطفي، الثورة والربيع العربي: إطلالة نظرية، ورقة بحثية، د ط، د ت، ص 07.

2- حنة أرنديت، رأي في الثورات، تع: خيرى حماد، المصدر السابق، ص 35.

3- حنة أرنديت، رأي في الثورات، تع: خيرى حماد، المصدر السابق، ص 35.

2-3- المبحث الثالث: عن مآلات الثورة، أمريكا وفرنسا نحو حقوق الإنسان.

تعود أرندت في نهاية حديثها عن الثورتين الأمريكية والفرنسية إلى الاستشهاد بموقف "جيفيرسون" من الدستور والحقوق المصاغة فيه حيث يقول: "إن لائحة الحقوق التي صارت في صلب الدساتير الجديدة، هي أمر يستحقه الشعب أمام أي حكومة على وجه الأرض عامة أو خاصة، ولا ينبغي لأي حكومة عادلة أن ترفضه أو أن تكتفي بمجرد الإستدلال به"¹، وهذا ما نادى به أيضا "جورج واشنطن"^{*}

وفي السياق نفسه تستحضر قول "توماس بين"^{**} عن الدستور وكيفية صياغته إذ يقول: "الدستور هو ليس فعل حكومة، بل فعل شعب يكون حكومة، ومن هنا كانت الحاجة في فرنسا وفي أمريكا أيضا، إلى جمعيات تأسيسية ومؤتمرات خاصة مهمتها الوحيدة هي كتابة مسودة دستور وكذلك إلى عرض المسودة على الشعب، وإلى عرض مواد الفدرالية مادة فمادة، على إجتماعات مجالس الولايات، ذلك أن المسألة لم تكن على الإطلاق أن المجالس الإقليمية للمستعمرات الثلاث عشرة لا يوثق بها لإقامة حكومات الولايات وكانت سلطاتها مقيدة بما فيه الكفاية وبشكل صحيح بل إن المسألة قد غدت مبدأ بالنسبة إلى القواعد الشعبية يقضي بأن على الشعب أن يمنح الحكومة دستورا، وليس العكس"².

«*What is important are the rights of man, emancipation from prejudices, and quality of citizenship.*” Certainly this was what the Revolution began with, and on 26 August 1789 the National Assembly promulgated a founding manifesto to guide its work: the Declaration of the Rights of Man and the Citizen. This was something entirely new in the history of the world»³.

ويعني هذا: الأكثر أهمية هو حقوق الإنسان والمواطنة والتحرر من الطغيان، وفي الحقيقة كان هذا ما بدأت بإنجابه الثورة منذ بدايتها، وبتاريخ 26 أغسطس 1789 أصدرت

1- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 202.

*- أنظر التعريف به في الملاحق، ص 59.

**- أنظر التعريف به في الملاحق، ص 60.

2- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 206.

الجمعية الوطنية بيانا صاغه المؤسسون لتوجيه عملها: إعلان حقوق الإنسان والمواطن، وكان هذا شيئاً جديداً في تاريخ العالم.»

من خلال هذا كله يمكن القول أنه و"لكي يكون الدستور صالحاً ينبغي أن يتأسس على حقوق الإنسان ويحميها، وينبغي معرفة الحقوق التي تمنحها العدالة الطبيعية لجميع الأفراد وينبغي التذكير بجميع المبادئ التي تستحق أن تؤلف القاعدة لكل مكان من أنواع المجتمعات وأن تكون كل مادة في الدستور نتيجة مبدأ... وينبغي أن يكون هذا الإعلان قصيراً وبسيطاً وواضحاً"¹

ويمكن فهم مصطلح حقوق الإنسان بأنه يشير إلى "مجموعة الحقوق اللصيقة بالشخصية الإنسانية التي نصت عليها المواثيق الدولية والتي يتمتع بها الإنسان، ولا يجوز تجريده منها لأي سبب كان بصرف النظر عن كل من مظاهر التمييز مثل الدين واللغة واللون والأصل والعرق والجنس وغير ذلك".²

تشير أرندت إلى حدث تاريخي يجب الوقوف عنده، يتمثل في أنه وبعد إستقلال إمريكا "دعا رجال الثورة لإجتماع المجالس الثورية، والبدء بكتابة دستور لكل ولاية من الولايات الأمريكية، وهي عملية توجت بدستور الإتحاد وهو يعني تأسيس الولايات المتحدة، وذلك بعد أن أقسمت طبقة العوام على أن لا تبرح ساحة التنس قبل أن يكتب الدستور وتوافق عليه السلطة الملكية بشكل رسمي. بينما لا يخفى علينا المصير المفجع الذي إنتهى إليه الدستور الأول الفرنسي إنه الدستور الذي لم يقبله الملك ولم تصادق عليه الأمة، إنه دستور عام 1791 الذي ظل حبراً على ورق والذي كان محل إهتمام الفقهاء والخبراء أكثر من إهتمام الشعب، وتلاه طوفان من الدساتير حتى لم يعد لفكرة الدستور ذاتها أي معنى"³، ومن هذا كله يتضح الفرق الجوهرى بين نهاية كل من الثورتين.

أما إعلان الإستقلال في الولايات المتحدة الأمريكية فقد "صدر سنة 1776 وهو من أهم البيانات لحقوق الإنسان في العالم الغربى حيث تضمن المساواة بين الناس، وتمتعهم

1- ألبير سوبول، تاريخ الثورة الفرنسية، تر: جورج كوسي، المرجع السابق، ص 134.

2- محسن معوض، الدليل العربى: حقوق الانسان والتنمية، المنظمة العربية لحقوق الإنسان، ط 01، 2005، ص 12.

3- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 174.

بحقي الحياة والحرية وطلب السعادة، ويتضمن اعتبار صلاحية الدولة لإقرار هذه الحقوق مستمدة من الشعب، كما أجاز حق الشعب في التمرد على انحراف الدولة عن هذا الهدف، وبعد ذلك الإعلان صدر الدستور الأمريكي في عام 1787، ثم عدل مرارا وأطلقت على التعديلات العشرة الأولى إسم إعلان الحقوق وقد صدرت بين سنة 1789 وسنة 1791 وهي تنص على حرية العقيدة وحرية النفس والمال والمنزل، وضمانات حرية التقاضي وعدم التجريم بدون محاكمة عادلة، وضبط القوى المسلحة وشروط حمل السلاح ونصت تعديلات لاحقة على تحريم الرق وتحرير الأرقاء وعلى المساواة في حق الانتخاب دون تمييز لجهة العرق أو اللون أو الجنس¹.

وكانت افتتاحية الدستور الأمريكي بالعبارات التالية: "نحن شعب الولايات المتحدة، رغبة منا في إنشاء اتحاد أكثر كمالاً، وفي إقامة العدالة، وضمان الاستقرار الداخلي، وتوفير سبل الدفاع المشترك، وتعزيز الخير العام وتأمين نعم الحرية لنا ولأجيالنا القادمة، نرسم ونضع هذا الدستور للولايات المتحدة الأمريكية"² يقول "غلاستون" عن الدستور الأمريكي بأنه "أروع عمل أنجزه عقل الإنسان في زمن معين"³.

إنه دستور يقضي بمبدأ مفاده "سواء كنت إنجليزية أو إيرلندية أو ألمانية أو سويدية.... فأنت لك الحق بكل الحريات الخاصة بالإنجليز وبالحرية التي ينص عليها هذا الدستور، والذي كانوا يقصدونه هو أن تلك الحقوق التي كان يتمتع بها الإنجليز وحدهم في ذلك الحين ينبغي أن يتمتع بها الناس جميعاً في المستقبل"⁴.

من جهة أخرى فقد كان فوز "توماس جيفرسون" في الانتخاب الكبير عام 1880، معناه أن أفكار الارستقراطية الإنجليزية قد انهزمت، ولن يعود هناك محل لدولة أمريكية تنتصر فيها الفكرة التي ترى أن يعهد بالحكم إلى طبقة ممتازة في المجتمع"⁵

1- جمال البناء، منهج الإسلام في حقوق الإنسان، د ط، 1999، ص 33.

2- دستور الولايات المتحدة الأمريكية، ورقة بحثية، دط، د ت، ص 21.

3- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 204.

4- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 210.

5- رضا هلال، تفكيك أمريكا، المرجع السابق، ص 23.

وعند العودة إلى القارة الأم أوروبا، وفي فرنسا بالتحديد فقد "أخذت المطالبة بالحرية (وهي المدخل لحقوق الإنسان) شكلاً آخر إنتهى بالثورة الفرنسية سنة 1789 وصدور إعلان "الإنسان والمواطن" وهو الإعلان الذي قدس الملكية الخاصة، وجاء في إعلان حقوق الإنسان الفرنسي المتضمن في دستور المؤتمر الوطني الجديد 24 يونيو سنة 1793: "عندما تتعدى الحكومة على حق الشعب يكون حق الثورة من أقدم الحقوق ومما لا يمكن التخلي عنه"¹

وعند مراجعة بنود حقوق الإنسان فإن إعلان حقوق الإنسان الأمريكية كانت ترمي لوضع حقوق إيجابية أولية كامنة في طبيعة الإنسان، تمييزاً له عن مركزه السياسي وهي بهذه الصفة حاولت حقا أن تختصر السياسة إلى الطبيعة، أما الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان كما فهمته الثورة فقد كان يرمي إلى تأسيس كل السلطة السياسية وإلى وضع حجر الأساس للكيان السياسي وليس السيطرة عليه، وكان المفترض أن يستند الكيان السياسي الجديد إلى حقوق الإنسان الطبيعية، إلى حقوقه بوصفه كائناً طبيعياً، إلى حقه في الغذاء واللباس والإنجاب، أي إلى حقه في ضرورات الحياة، ولم تفهم هذه الحقوق على أنها حقوق سابقة للسياسة تقضي بأنه ما من حكومة وما من سلطة سياسية لها الحق في أن تمسها أو تنتهكها، ولكنها فهمت على أنها فحوى الحكومة والسلطة والغرض النهائي منهما، لقد كان النظام القديم متهماً بأنه جرد رعاياه من هذه الحقوق، حقوق الحياة الطبيعية وليس حقوق الحرية والمواطنة².

يقول "روبيسير" ممثلاً لرجال الثورة الفرنسية موضحاً جملة الحقوق والحريات التي من حق المواطن التمتع بها: "لجميع المواطنين أياً كانوا الحق في الطموح إلى جميع درجات التمثيل، لا شيء أكثر ملاءمة من اعلانكم للحقوق الذي ينبغي أن يزول معه كل امتياز وكل تفريق وكل استثناء، لقد أقر الدستور أن السيادة تستقر في الشعب، وفي كل أفراد

1- جمال البناء، منهج الإسلام في حقوق الإنسان، المرجع السابق، ص 35.

2- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 149.

الشعب، فلكل فرد بالتالي الحق بالاشتراك في وضع القانون الذي يلزم به وبادارة الاملاك العامة التي هي ملكه وإلا ليس صحيحاً أن جميع الناس متساوون وأن كل إنسان مواطن.¹

تعتبر أرندت أن الثورة الأميركية هي الوحيدة التي نجحت في ما فشلت فيه الثورات الكبرى الأخرى الفرنسية والسوفيتية من حيث تحقيق الاستمرارية وعدم الوقوع في فخ الدكتاتورية والصراع الدموي. وقد عللت أرندت ذلك النجاح بالدور المحوري للمؤسسات الديمقراطية وعلى رأسها المحكمة العليا التي أدت دور نقطة الارتكاز بالنسبة الى النظام الأميركي، لهذا غالباً ما ردد المستوطنين: "جمهورية أمريكية.... هي الحكومة الوحيدة التي نرغب بإنشائها، ذلك أننا لن نكون على استعداد أبداً قط أن نصبح رعية لأي ملك آخر؛ إلا إلى الذي يمتلك حكمة بالغة وطيبة لا متناهية واستقامة مطلقة، والذي هو وحده يصلح لأن يمتلك سلطة غير محدودة"²

إن الكارثة العظمى في الثورة الفرنسية هو عدم إهتمامهم لوضع دستور يعتبرونه مبتغاهم الأهم، وقد كان "توكفيل"^{*} مصيباً تماماً مرة أخرى حين قال: "إن من بين الأفكار والمشاعر كلها والتي هيأت للثورة كانت فكرة الحرية العامة والولع بها هي أول ما أختفى من الوجود"، لم يكن روبسبيار مستعد لوضع نهاية للثورة مرده من قناعاته بأن الحكومة الدستورية معنية بالدرجة الأولى بالحرية المدنية، والحكومة الثورية بالحرية العامة" إنه كان يخشى من أن نهاية السلطة الثورية وبداية الحكومة الدستورية من شأنها أن تعني نهاية "الحرية العامة"³.

لكن هناك حقيقة أخرى يجب تأكيدها هنا وهي أن الثورة الأمريكية برغم ضعف تأثيرها على الصعيد العالمي بالنسبة إلى الثورة الفرنسية كانت رائدة في أنها ضمنت النجاح للنظام الجمهوري الذي ما لبث العالم الحديث أن إتجه إليه، ليستبدل به نظام الملكية السابق الذي كان يقوم على الحق الإلهي للملوك، كما أن نجاح الحرب التحريرية التي خاضتها

1- ألبير سوبول، تاريخ الثورة الفرنسية، تر: جورج كوسي، المرجع السابق، ص 163.

2- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 258.

*- أنظر التعريف به في الملاحق، ص 59.

3- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 186.

المستعمرات ضد إنجلترا كان أيضا مثلا للحروب التحريرية الأخرى التي خاضتها مستعمرات ثانية وإن جاء أثرها متأخرا نتيجة العزلة التي فرضتها أمريكا على نفسها بعد تحررها¹

إنتهى الصراع في فرنسا بين البورجوازية من ناحية وطبقة النبلاء ورجال الكنيسة من ناحية أخرى بقيام الثورة الفرنسية في سنة 1789، "كما انتهى صراع الشعب ضد البورجوازية بانتصار الحركة الشعبية في 31 مايو 1793، وبدأ بذلك عهد من الثورات تتابعت فيه أنظمة الحكم فحلت الجمهورية محل الملكية والديكتاتورية أو الامبراطورية - يقصد بذلك امبراطورية نابليون - محل الجمهورية ثم حلت الملكية محل الامبراطورية - ويقصد بذلك ملكية لويس الثامن عشر الذي جاء بعد هزيمة نابليون في واترلو-، وتعاقبت الأسر الحاكمة واحدة بعد أخرى - يقصد بذلك أسر "نابليون الثالث" التي جاءت بعد أسرة البوربون -، فلم يتسن لفرنسا أن تنعم بنظام ثابت من جراء هذا التعاقب إذ أن أطول نظام عرفته منذ قيام الثورة الفرنسية لم يدم 70 عاما".²

وانطلاق من مثل هاته الاعلانات والبنود تم "في العاشر من ديسمبر (كانون الأول) 1943 ومن طرف الجمعية العامة لحقوق للأمم المتحدة، الاعلان العالمي لحقوق الإنسان أذاعته، وبعد هذا الحدث التاريخي دعت الجمعية العامة الدول الأعضاء إلى ترويج نص الإعلان، وإلى العمل على نشره وتوزيعه وقراءته ومناقشته، وخصوصا في المدارس والمعاهد التعليمية بدون أي تمييز بشأن الوضع السياسي للدول أو الأقاليم".³

تتناهى أرندت حقيقة تاريخية مهمة تخص الثورة أمريكا وتتعارض مع وضعها لللائحة حقوق الإنسان، فلقد " احتاج بناء أمريكا 300 عام من حروب الإبادة ضد الأمريكيين الأصليين (الهنود الحمر)، حتى أن المؤرخين يعتبرون توسع أمريكا في القارة غزوا أكثر منه استيطاناً، وكانت تلك الحروب الأطول والأكثر دموية بين الصراعات العرقية في التاريخ، وكان تدمير السكان الأصليين هو ثمن التطور"⁴

1 - حنة أرندت، رأي في الثورات، تع: خيري حماد، المصدر السابق، ص 07

2- أندريه جوسان، طبقات المجتمع، تر محمد بدوي، المرجع السابق، ص 160.

3- محمد الصادق عفيفي، دعوة الحق للمجتمع الإسلامي، دط، 1987، ص 217.

4 - رضا هلال، تفكيك أمريكا، المرجع السابق، ص 26.

"على مدى خمسمائة سنة، تعرض هنود أمريكا لحملات غزو إسبانية وبرتغالية وفرنسية وهولندية وإنكليزية سلبتهم إنسانيتهم وأنزلت بهم فنونا عجيبة من القتل والتدمير، ونظرت كلها إلى حياتهم ولغاتهم وأديانهم باحتقار، لكن الإنجليز وحدهم كانوا الأكثر عنهجية وعدوانية وإصرارا على تدمير الحياة الهندية واقتلاعها من الذاكرة الانسانية".¹

تفصل المؤرخة "أندريا سميث" في الموضوع فتقول عن المستوطنين الأمريكيين: "إنهم يعتبرون الهنود الحمر والكنعانيين تجسيدا حيا للفاحشة الجنسية، ويقولون إن أجسادهم وأرواحهم نجس، لا حرمة لها، لهذا يستحقون التدمير الجماعي"²

1- منير العكش، أمريكا والابادات الثقافية، رياض الريس للكتب والنشر، ط 01، 2009، ص 09.

2- منير العكش، أمريكا والابادات الثقافية، المرجع نفسه، ص 25.

المبحث الثالث:

2-3- عن مآلات الثورة، أمريكا وفرنسا نحو حقوق الإنسان.

الدستور هو راية، هو نصب وهو وشيعة؛ حين يفهم ويصدق عليه ويكون عزيزا على القلوب، ولكن من دون هذا التفكير والتعلق؛ فإنه قد يكون عبارة عن طائرة ورقية، أو بالون يطير في الهواء.

جون آدمز

2-2- المبحث الثاني: ثنائية الحرية والسعادة، في خيارات الثورة الإمريكية والفرنسية.

منطلقة من قول "كوندورسيه": " إن كلمة ثورة لا تنطبق إلا على الثورات التي يكون هدفها الحرية"¹؛ ترى أرندت أن الثورات توفر الأمل بتحرير البشرية جمعاء وهي تستهدف بشكل عام قضية الحرية إزاء الاستبداد، تلك القضية التي تشكل في حقيقة الأمر وجود السياسة ذاته منذ بداية تاريخنا، فمن الأمور بالغة الجوهرية في أي فهم للثورات في العصر الحديث أن تتزامن فكرة الحرية مع التجربة الجديدة لبداية جديدة، وبذلك فإن الحرية والسياسة متلازمتان، بحيث لا يمكن تصور الحرية بوصفها ممارسة فعلية خارج إطار الحياة العمومية والمجال السياسي.

إلا أن هذا لا يعني أن جميع التجمعات السياسية تضمن الحرية، فالمجتمعات الاستبدادية، التي تمنع الممارسات العمومية للسياسة وتضيق مجال هذه الممارسات على رعاياها، لا تتوفر فيها الحرية، وعليه فالحرية تتحدد أساساً في "حق عمل كل شيء لا يلحق الضرر بالآخرين، فلا حدود لها بالتالي إلا حدود الآخرين، والحرية هي قبل كل شيء الحرية الشخصية والحرية الفردية المضمونة ضد الاتهامات وأوامر التوقيف الاعتباطية"².

"كان عرف الأمريكيين في القرن الثامن عشر ينادي بالسعادة العامة؛ بينما كان العرف الفرنسي ينادي بالحرية العامة، ولو أن الفرنسيين كانوا قد عرفوا عن طريق تجربة حقيقية ما الذي تعنيه الحرية العامة للمواطن الفرد؛ فرما كانوا إتفقوا مع زملائهم الأمريكيين فتحدثوا عن السعادة العامة التي عرفها "جوزف وران" عام 1772: "بأنها تعتمد على تعلق فاضل وثابت بدستور حر"³، تكمن المسألة بالنسبة للثورة الأمريكية في: هل تقوم الحكومة الجديدة بتكوين ميدان خاص بها من أجل السعادة العامة لمواطنيها؟ أم أن هذه الحكومة إنما

1 - حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 38.

2 - ألبير سوبول، تاريخ الثورة الفرنسية، تر: جورج كوسي، منشورات بحر المتوسط ومنشورات عويدات، بيروت باريس، ط04، 1989، ص 158.

3 - حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 172.

صممت فقط لخدمة سعي مواطنيها وراء السعادة الخاصة ولضمان ذلك بشكل أكثر فعالية مما كان عليه في النظام القديم؟

"بينما كانت تعني الحرية العامة ليس الإرادة الحرة أو الفكر الحر، إن الحرية بالنسبة إليهم لا يمكن أن توجد إلا في العلن، إنها واقع دنيوي ملموس، شيء خلقه البشر لكي يستمتع به البشر وليس هبة أو قدرة، إنها المجال العام أو السوق العمومية التي كان يعرفها القدماء باعتبارها المنطقة التي تظهر فيها الحرية وتغدو مرئية للجميع"¹، فبالنسبة للثورة الفرنسية المسألة كانت: هل غاية الحكومة الثورية تكمن في إقامة حكومة دستورية تقوم بإلغاء عهد الحرية العامة بواسطة ضمان الحريات والحقوق المدنية، أم أن الثورة يجب أن تعلن في حال دوام وذلك ومن أجل الحرية العامة؟.

ومن خلال هذا كله نجد أن " ضمان الحريات المدنية والسعي وراء السعادة العامة كان يعتبر منذ أمد بعيد ضروريا في الحكومات غير الإستبدادية كلها، ومن خلال التجربة العميقة لرجال الثورتين بعد إطلاعهم على السعادة العامة، كان لهم أن يفضلوا - تحت أي ظرف من الظروف- الحرية العامة على الحريات المدنية أو السعادة العامة على الرفاه الخاص"².

بالإضافة إلى ذلك فلقد كانت تعني السعادة العامة "حق المواطن بالدخول إلى الميدان العام في قسطه من السلطة العامة وبأن يكون مشاركا في إدارة شؤونه"³ بينما كان يعني "التوق للحرية من أجل الحرية من أجل المتعة الوحيدة بأن تكون قادرا على الكلام وعلى الفعل وعلى التنفس كما يقول "توكفيل"؛ لا يمكن أن ينشأ إلا عندما يكون البشر أحرارا أصلا بمعنى أنهم لا سيد لهم"⁴، وهذا ما كانت الثورتان تهدف إليه بالأساس، فلقد أستحدثت مجموعة من المجالس واللجان والهيئات والنوادي والأحزاب، التي يجتمع فيها الناس ويتعاونون ويتناقشون بحرية ومساواة، وكانت هي مصدر الروح الثورية والسعادة والتعبير

1- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 172.

2- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 188.

3- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 177.

4- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 173.

الحقيقي عن مشاركة الجميع في السلطة.

ومما لا يجب أن نهمله الحديث عن الفردية الأمريكية المرتبطة بالحرية؛ "الحرية التي لا تقيدها القيود ولكن التي يصونها نظام الحرية الاقتصادية التي تقدر الملكية الفردية والحرية السياسية التي تعلي الفرد على الجماعة والحرية الدينية القائمة على فردية التجربة الدينية التي لا تقبل وجود كنيسة للدولة، وحرية التعبير دون رقابة من الدولة والكنيسة"¹

يقول "توماس جيرفيسون": "لقد عاهدت الله أن أكون إلى آخر الدهر عدوا للطغيان في شتى صورته، الطغيان الذي يستبد بعقل الإنسان" هكذا قال جيرفيسون عندما تقدم لرئاسة الجمهورية في الولايات المتحدة عام 1700، فقاومه المحافظون من رجال الدين لتطرفه في الدعوة إلى الحرية، وإذا جاز لنا أن نختار من أقواله قولاً يلخص حياته وفكره اخترنا له هذه العبارة شعاراً، لأن دفاعه عن حرية العقل كان مدار فكره وحياته.²

تضيف أرندت في حديثها عن الثورة الأمريكية، وتأثيرها بهذه الأفكار؛ "إن الفكرة أو الأفكار الثورية عن السعادة العامة والحرية السياسية لم تختف قط من المشهد الأمريكي، إذ أنها غدت جزءاً لا يتجزأ من الهيكل السياسي للجمهورية، فهل سيصمد هذا أساس الهيكل طويلاً؟ أم أنه سيتعرض لضغوطات مثلما طالت المجتمعات الغربية؟ المستقبل وحده سيجيب"³.

ومن حيث مسار كلا الثورتين ترى أرندت أن "إتجاه الثورة الأمريكية ظل ملتزماً بتأسيس الحرية وإقامة المؤسسات المستدامة، ولم يكن هناك شيء متاح بالنسبة إلى الذين عملوا في ذلك الإتجاه خارج إطار حرب أهلية، أما إتجاه الثورة الفرنسية فقد انحرف منذ البداية عن المسار في التأسيس من خلال الحدوث الفوري للمكابدة بسبب البؤس وما إنجر عنه من إحاسيس وعواطف لا حدود لها كالشفقة والإشفاق والتضامن، والتي ساعدت في

1- رضا هلال، تفكيك أمريكا، الهيئة المصرية العامة للكتاب والشركة الإعلامية للطباعة والنشر ستامبا، مصر، د ط، 1997، ص 24.

* - أنظر التعريف به في الملاحق، ص 61.

2- زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، بيروت لبنان، ط 02، 1982، ص 25.

3- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 195.

إطلاق تيار من العنف لا حدود له كذلك فقد كان كل شيء مباح، فلقد كان رجال الثورة الأمريكية على دراية بما يمكن للعنف أن يطلقه من إنتهاك لقوانين المجتمع المدني وهذا راجع لتجربتها فقد كانت قبل ذلك قطرا استعماري عانى من الأفعال الإستيطانية الإجرامية والوحشية فقد جعلته أكثر تعلما منها وتأملا فيها".¹

لذلك تحذرننا أرندت من المبالغة في التفاؤل بشأن الثورة إذا لم تسر في طريقها المرسوم مشيرة إلي أن ثمة حقيقة مؤسفة مفادها أن معظم الثورات المعروفة كانت أبعد ما تكون عن إنجاز تكوين الحرية بل إنها لم تتمكن من الإتيان بضمانات دستورية للحقوق والحریات المدنية.

تقول أرندت أنه وبعدما رأى "بيرك" في أوروبا من إفتقار إلى الطمأنينة ومن تواكل وإحجام، مما دفعه إلى تحية الثورة الأمريكية، تحية حماسية قال فيها: " لا يمكن أن تعود الأمم الأوروبية إلى الحرية التي كانت الطابع المميز لها فيما مضى، إلا إذا وقعت هناك إنتفاضة تهز العالم كله من قواعده، ولقد ظل العالم الغربي مستقر الحرية إلى أن تم إكتشاف عالم آخر أكثر غريبة، ولا ريب في أن هذا العالم الجديد سيصبح ملاذ الحرية، عندما تنهار في الأجزاء الأخرى من العالم"²

وكانت تجربة الوجود الحر-أو العالم الحر-، هي التجربة التي دفعتها الثورتان الأمريكية والفرنسية إلى المقدمة، وكانت هذه التجربة جديدة، "إن كلا من الثورتان الفرنسية والأمريكية تفخر بأنها دشنت عصرا جديدا للإنسانية جمعاء بصفتهم بشرا، بصرف النظر عن أين يعيشون، وما هي ظروفهم وما هي جنسيتهم"³، وأجمل ما قيل عن هذه المسألة، ما وضعه كوليدرج في قصيدته عن فرنسا: " عندما ترفع فرنسا في غضبها الجبار يدها، بقسم يهز الأرض والبحار، وتضرب الأرض برجلها الحرة، وتقسم ان تكون حرة...."⁴

1- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص127

2- حنة أرندت، رأي في الثورات، تع: خيرى حماد، المصدر السابق، ص 143.

3- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 73.

4 - ألبير سوبول، تاريخ الثورة الفرنسية، تر: جورج كوسي، المرجع السابق، ص 196.

وكرر على ما تسميه أرندت بـ "العالم الحر" هذه هي التسمية التي تطلقها كتلة الدول الغربية على نفسها، مع أن بعض دولها بعيدة عن الحرية بعد الأرض عن السماء، فهل يمكن أن تسمى ديكتاتورية "سالازار" في البرتغال، واستعمارية حكمه في المستعمرات الأفريقية، أو اضطهاد السود في أمريكا، والتفرقة العنصرية في جنوبي إفريقيا وغير ذلك من الظواهر.. حرية، لقد فقدت الحرية في هذه التسمية معناها الصحيح، وأصبحت ستارا يخفي أهدافا سياسية معينة".¹

فعلى سبيل المثال نجد أن "الثورة الفرنسية التي اتخذت مبادئها من أفكار فلاسفتها ورفعت شعار (الحرية - الإخاء - المساواة)، لم تلتزم بهذا الشعار سواء على الصعيد الداخلي الفرنسي إبان الثورة أو على صعيد سياسة حكومتها الخارجية فيما بعد.

فعلى الصعيد الداخلي الفرنسي نجد أن الثورة الفرنسية بحق قامت بأكبر مجزرة في التاريخ أو على الأقل في الشعب الفرنسي، حيث قتلت الفلاحين، وهي بذلك تعد منبع الإرهاب العالمي؛ إذ ولدت "ظاهرة الإرهاب" من الثورة الفرنسية.

أما على صعيد السياسة الخارجي التي انتهجتها حكومات الثورة الفرنسية، فقد جاءت متناقضة تماماً مع ما أعلنته الثورة من مبادئ (الحرية والإخاء والمساواة)؛ وبخاصة فيما يتعلق بشعوب آسيا وإفريقيا التي استعمرتها والتي تعاملت معها بمنطق السيد والعبد، حيث كان الاحتلال الفرنسي لبلدنا الجزائر، والمغرب وتونس وغيرها من المناطق في آسيا وإفريقيا.

1 - حنة أرندت، رأي في الثورات، تع: خيرى حماد، المصدر السابق، ص 34.

A decorative frame with a central white space containing the title. The frame is composed of a green border with intricate floral and geometric patterns in shades of green, yellow, orange, and red. The central white space is a large, rounded shape with a slight gradient.

الخاتمة العامة

A decorative border with a central yellow and green cloud-like shape. The border is composed of intricate floral and geometric patterns in green, yellow, and red. The central shape is a stylized cloud or scalloped oval with a yellow gradient and a green outline. Inside this shape, the text "قائمة المصادر والمراجع" is written in a grey, serif font.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: التعريف بالمنظرة السياسية حنة أرندت.

ولدت حنة أرندت في مدينة عانوفر الألمانية عام 1906، درست في جامعة ماربييرغ وجامعة فرايبيرغ، وحصلت على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة هيدلبيرغ، حيث درست تحت إشراف كارل ياسبرز (Karl Jaspers).

في عام 1933 هربت من ألمانيا وذهبت إلى فرنسا، حيث شاركت في أعمال هجرت اللاجئين من الأطفال اليهود إلى فلسطين. وفي عام 1941 ذهبت إلى الولايات المتحدة الأمريكية وحصلت على جنسيتها بعد عشر سنوات من إقامتها هناك.

وكانت قد عملت مديرة للبحوث في مؤتمر العلاقات اليهودية، وكذلك رئيسة تحرير لكتب شوكن، ومديرة تنفيذية لمنظمة إعادة بناء الثقافة اليهودية في مدينة نيويورك، وأستاذة زائرة في عدد من الجامعات من ضمنها كاليفورنيا وبرينسون وكولومبيا وشيكاغو، وأستاذة جامعية في كلية الخريجين في المدرسة الجديدة للبحث الاجتماعي، وقد حصلت على زمالة غوغنهايم في عام 1952، وفازت بالمنحة السنوية للآداب والفنون في عام 1954 من المعهد القومي للفنون والآداب.

وتتضمن كتب هذه المؤلفة كتاب أصل التوتاليتارية أي أصل المذهب الشمولي وكتاب أزمت الجمهورية، وكتاب بين الماضي والمستقبل: ثمانية تمارين في الفكر السياسي، وكتاب في العنف، وكتاب إيخمان في القدس: تقرير في ابتذال الشر، وقد قامت المؤلفة كذلك بنشر مجلدين من أعمال كارل ياسبيرز المعنونة بالفلسفة العظام.

توفيت المنظرة في شهر كانون الأول/ديسمبر 1975.¹

1- حنة أرندت، في الثورة، المصدر السابق، ص 11.

ثانيا: التعريف بأهم الأعلام الواردة في المذكرة.

أرسطو: فيلسوف يوناني ترك اثرا عميقا في الفكر الإنساني عموما، ولد عام 384 ق.م بمدينة أسطاغيرا في مقدونية، وكان أبوه طبيب الملك أمينتاس الثاني، تتلمذ على يد أفلاطون، وكان أحد أبرز تلامذته في الاكاديمية، وضع الأسس الأولى للمنطق الصوري، ألف في العديد من المجالات: المنطق، الطبيعيات وماوراء الطبيعة، من أهمها "الأورغانون"، "الفلسفة الأولى"¹

بنيامين فرانكلين: من رجال الدولة البارزين في أمريكا كما أنه من رجال الفكر، ولد سنة 1706 في بوسطن، اشتغل كعامل في الطباعة في صباه، ثم أصبح صاحب مطبعة خاصة أصدرت مجلة "ساترداي ايفينينج بوست"، له عدة اختراعات في الكهرباء ونظارة العين والأفران، اشترك في الثورة الأمريكية وفي وضع اعلان الاستقلال، واختير سفيرا في فرنسا، اشترك في وضع الدستور الأمريكي، توفي في 1790.²

جون أدامز: الرئيس الثاني للولايات المتحدة الأمريكية، ولد في كونيس سنة 1735، درس في جامعة هارفرد وتخرج محاميا، أنتخب نائبا في الكونغرس، وأشترك في وضع إعلان الإستقلال، عين سفيرا في هولندا بعد استقلال بلاده، ثم، في بريطانيا، وأصبح رئيسا للجمهورية في عام 1797 له كتاب "دفاع عن الدستور الأمريكي" وآخر "تاريخ الولايات المتحدة" توفي في 1826.³

جورج واشنطن: ولد في 1732، مؤسس الولايات المتحدة الأمريكية، وبطل استقلالها إذ قاد ثورتها ضد الانجليز، عرف بسداد رأيه وحسن نيته، وصدق معاملته ونشاطه المتواصل، توفي في 1799.⁴

كوندورسيه: هو ماري جان كوندورسيه ولد في 1743، كاتب فرنسي بارز في الشؤون الفلسفية والرياضية، ولد من أسرة عريقة، درس في نافار، وضع عددا من الكتب في الرياضيات والفلسفة التحليلية، انتخب عضوا في المجمع العلمي وقف مع الثورة وانتخب نائبا في الجمعية

1- عبد القادر تومي، جوه الفلسفة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والاشهار، الجزائر، د ط، 2009، ص 23.

2- حنة أرندت، رأي في الثورات، المصدر السابق، ص 56.

3- حنة أرندت، رأي في الثورات، المصدر السابق، ص 25.

4- حنة أرندت، رأي في الثورات، المصدر السابق، ص 71.

التشريعية وأصبح رئيسها في عام 1792، إنحاز إلى حزب الجيروندي، أصبح مهدداً بالأعدام من اليعاقبة فانتحر في سجنه سنة 1794.¹

ماركس: فيلسوف وسياسي وعالم اقتصاد ولد في 08 ماي 1818 بمدينة تريفز، التابعة لبروسيا آنذاك، درس الحقوق والفلسفة، صحب التوجه الشيوعي الماركسي في الاقتصاد والسياسة، إشتغل بدراسة طبقات المجتمع، كما بحث في فائض القيمة والعمل، من أقواله: "المهم تغيير العالم لا تفسيره"²

روبيسبير: من كبار رجال الثورة الفرنسية، أحد زعماء حزب اليعاقبة انتصر على الجرونديين بخطبه الثورية وجراته، ثم طهر حزبه من منافسيه وفي مقدمتهم دانتون وأصبح المسيطر على حكومة الثورة، والمحرك الأكبر للجنة الأمن العام والارهاب، لقي مصيره على المقصلة سنة 1758.³

شارل دي توكفيل: مؤرخ فرنسي ولد سنة 1705 في ولاية السين، سافر إلى أمريكا في عام 1831 لدراسة أحوال السجون فيها وراح يجمع المعلومات فيها لكتابة "الديمقراطية الأمريكية" الذي يعتبر كتاب موضوعي عن الحكم في تلك البلاد، يعتبر ليبرالياً متمتماً في آرائه السياسية، أصبح في عام 1849 نائباً لرئيس الجمعية الوطنية زار إنجلترا بعد أن طرده نابليون وضع كتابه "ذكريات"، توفي سنة 1859.⁴

توماس بين: مؤلف وسياسي انجليزي، ولد في 1738، سافر إلى أمريكا في عام 1774 حيث أصدر كتابه "المنطق" الذي بحث فيه أسباب الحرب بين إنجلترا ومستعمراتها الأمريكية، شغل عدة مناصب في أمريكا ثم عاد إلى إنجلترا عام 1787، أصدر كتاب "حقوق الانسان" في إنجلترا عام 1790، أي بعد اندلاع الثورة الفرنسية، واضطر إلى الفرار إلى فرنسا حيث وضع كتاب "عصر العقل"، ثم سافر إلى أمريكا حيث مات فيها سنة 1809.⁵

1- حنة أرندت، رأي في الثورات، المصدر السابق، ص 19.

2- عبد القادر تومي، جوه الفلسفة، المرجع السابق، ص 127.

3- حنة أرندت، رأي في الثورات، المصدر السابق، ص 34.

4- حنة أرندت، رأي في الثورات، المصدر السابق، ص 37.

5- حنة أرندت، رأي في الثورات، المصدر السابق، ص 56.

توماس جيرفيسون: ولد في 1743، ثالث رئيس جمهورية في أمريكا، بدأت شهرته في الظهور عندما حرر وثيقة استقلال أمريكا، انتخب رئيسا للجمهورية مرتين، واعتذر في المرة الثالثة ويعتبر من واضعي الدستور الأمريكي، توفي في 1826.¹

1- حنة أرندت، رأي في الثورات، المصدر السابق، ص 29.



الملاحق

"الثورة ليست حمى تستجيب لعلاجات بريئة وخادعة، يجب أن نقبلها فترة ما، على الأقل بوصفها سرطانا غير قابل للشفاء".

كرين برينتس

ملخص المذكرة:

نعالج في هذه المذكرة مفهومًا هامًا - كان ولا يزال يسيل حبر العديد من الفلاسفة والمفكرين والمنظرين السياسيين، ألا وهو مفهوم الثورة عند منظرية سياسية فذة، هي حنة أرندت، فالثورة حلت محل الحرب منذ العصر الحديث وأصبحت أهم ما يميزه.

والثورة عند أرندت فعل إرادة وعزيمة، يستهدف تغيير واقع استبدادي طلباً للحرية، ركزنا في مذكرتنا هذه على نموذجين من الثورات الكبرى في العالم الحديث، قد حللتها أرندت في كتابها "في الثورة"، هما الثورتين الأمريكية والفرنسية، إنطلاقاً من دراسة أسباب وقوعهما ومرورا بظروفهما ووصولاً إلى مراحلهما الأخيرة من صياغة الدستور وبناء الحكومة ووضع لائحة حقوق الإنسان.

ترى أرندت أن الثورة الوحيدة التي نجحت في تحقيق أهدافها هي الثورة الأمريكية وذلك بفضل مؤسساتها كالكونغرس والمحكمة العليا، بينما فشلت الثورة الفرنسية في ذلك نظراً لإشتغال الثوار بحل المشاكل الاجتماعية قبل تأسيس الحرية، لكن كلا الثورتين تعد نموذجاً للكفاح والنضال من أجل الحرية ومثالاً يقتدى به من الدول التي تعاني فقدانها.

المصطلحات الأساسية:

الثورة، الحرب، الحرية، العنف، السعادة، المسألة الاجتماعية -الفقر، الثورة الفرنسية، الثورة الأمريكية، حقوق الإنسان.

قائمة المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم.

01- المصادر والمراجع باللغة العربية

المصادر:

- حنة أرندت، رأي في الثورات، تع: خيرى حماد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة مصر، ط 02، 2011.
- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، مر: رامز بورسلان، المنظمة العربية للترجمة، لبنان بيروت، ط 01، 2008.
- حنة أرندت، في العنف، تر: ابراهيم العريس، دار الساقى، بيروت لبنان، ط 01، 1992.

المراجع:

- إيريك هوبزبام، العولمة والديمقراطية والإرهاب، تع: أكرم حمدان ونزهت طيب، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، ط 01، 2009.
- ألبير سوبول، تاريخ الثورة الفرنسية، تر: جورج كوسي، منشورات بحر المتوسط ومنشورات عويدات، بيروت باريس، ط 04، 1989.
- أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، دار المعارف، القاهرة مصر، ط 05، 1995.
- أندريه جوسان، طبقات المجتمع، تر محمد بدوي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة مصر، ط 02، 2011.
- برهان غليون، بيان من أجل الديمقراطية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط 05، 2006.

- جهاد عودة، الثورات العربية وأثرها على طبيعة التغيير الدولي، ورقة بحثية، دط، القاهرة 2013.
- جون آر برادلي، ما بعد الربيع العربي كيف اختطف الإسلاميون الثورات، تر: شيماء عبد الحكيم طه، مر: محمد إبراهيم الجندي، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة مصر، ط 01، 2013.
- جون ستراتشي، حول منع الحرب، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، مر: محمد فتح الله الخطيب، كتب عربية، د ط، د ت.
- جمال البنا، الحرية، كتب عربية، د ط، د ت.
- جمال البنا، منهج الإسلام في حقوق الإنسان، د ط، 1999.
- دستور الولايات المتحدة الأمريكية، ورقة بحثية، دط، د ت.
- وفاء لطفي، الثورة والربيع العربي: إطلالة نظرية، د ط، د ت.
- زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، بيروت لبنان، ط 02، 1982.
- زكرياء إبراهيم، مشكلات فلسفية: مشكلة الحرية، مكتبة مصر ودار الطباعة الحديثة، القاهرة مصر، ط 02، 1963.
- كرين برينت، تشريح الثورة. تر: سمير الجبلي، مر: غازي برو، دار الفارابي بيروت لبنان، دار كلمة الامارات العربية المتحدة، ط 01، 2009.
- كرين برنتون، دراسات تحليلية للثورات، تر: عبد العزيز فهمي، مر: محمد أنيس، الهيئة العامة لقصور المعرفة، القاهرة مصر، د ط، 2010.
- محمد الهاللي وعزيز لزرق، دفاتر فلسفية نصوص مختارة: الحرية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط 01، 2009.
- محمد الهاللي وعزيز لزرق، دفاتر فلسفية نصوص مختارة: العنف، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط 01، 2009.

- محمد الصادق عفيفي، دعوة الحق للمجتمع الإسلامي، دط، 1987.
- محمد كمال الشريف، مقالات عن الثورة السورية، د ط، د ت.
- محمد تركي بني سلامه، الحراك الشبابي الأردني في ظل الربيع العربي: دراسة ميدانية ونوعية، مر: و تق: نبيله جمزة وجمال الخطيب، مركز البديل للدراسات والأبحاث ومؤسسة المستقبل، عمان الأردن، د ط، د ت.
- منير العكش، أمريكا والابادات الثقافية، رياض الريس للكتب والنشر، ط 01، 2009.
- نبيل عبد الفتاح، النخبة والثورة: الدولة والإسلام السياسي والقومية الليبرالية، دار العين للنشر، الإسكندرية مصر، ط 01، 2013.
- نواف عبد الرحمان القديمي، الإسلاميون وريبع الثورات: الممارسة المنتجة للأفكار، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة قطر، د ط، 2012.
- عبد القادر تومي، جوه الفلسفة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والاشهار، الجزائر، د ط، 2009.
- عبد الإله بلقزيز، ثورات وخيبات في التغيير الذي لم يكتمل، تق محمد الحبيب طالب، منتدى المعارف، بيروت لبنان، ط 01، 2012.
- عزمي بشارة، في الثورة والقابلية للثورة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، د ط، 2011.
- علي حرب، ثورات القوة الناعمة في العالم العربي من المنظومة إلى الشبكة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، ط 02، 2012.
- عزيز لزرق ومحمد الهاللي، دفاتر فلسفية: العنف، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط 01، 2009.
- فاروق عبد الرحمن، دراسات حول قضايا الشغب وأسباب العنف، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، ط 02، 1991.

- فارس عزيز المدرس، القادمون قراءة في السياسة والمجتمع والانسان، دار الكتاب الثقافي، عمان، د ط، 2012.
- سليمان العودة، أسئلة الثورة، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت لبنان، ط 01، 2012.
- سلمان بونعمان، فلسفة الثورات العربية، مركز نماء للبحوث والدراسات، د ط، د ت.
- سري نسبية، الحرية بين الحد والمطلق، دار الساقى، بيروت لبنان، ط 01، 1995.
- رمزي المنياوي، ثورات غيرت وجه العالم، ج 01، دار الكتاب العربي، دمشق القاهرة، د ط، د ت.
- رضا هلال، تفكيك أمريكا، الهيئة المصرية العامة للكتاب والشركة الإعلامية للطباعة والنشر ستامبا، مصر، د ط، 1997.
- تشارلز تيللي، الديمقراطية، تر محمد فاضل طباح، مر: حيدر حاج اسماعيل، مركز دراسات المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط 01، 2010.

02- المراجع باللغات الأجنبية: -الإنجليزية-

- David F.Burg ; *The american Revolution; updated ed.2007, 2001by Infobase Publishing.*
- William Doyle; *The French Revolution A Very Short Introduction, Published in the United States by Oxford University Press Inc., New York © William Doyle 2001.*

أولاً: التعريف بمفهوم الثورة.

الثورة: يختلف الباحثون كثيراً حول تعريف خاص ومحدد للثورة، حتى وإن ريموند ويليام صنف كتاباً خاصاً في ذلك، واعتنى بالجزور اللاتينية للكلمة، والتي تعني "الحركة الدائرية" والدوران هنا يعني أن تكون الأمور دولا، فيصبح الحاكم محكوماً والمحكوم حاكماً، وهنا نشير إلى الآية القرآنية (وتلك الأيام نداولها بين الناس) آل عمران : 140، إن لفظ الثورة لا يتعب اللغوي بسبب ما يتضمنه من معان لدى الجماهير فحسب؛ بل أيضاً لأنه من تلك الألفاظ المحملة بمضمون عاطفي.¹ فالثورة هي التغييرات الجذرية في البنى المؤسسية للمجتمع، التي تعمل على تحويل المجتمع ظاهرياً وجوهرياً من نمط سائد إلى نمط جديد يتوافق مع مبادئ وقيم أيديولوجية وأهداف الثورة، وقد تكون الثورة عنيفة دموية، كما قد تكون سلمية وتكون فجائية سريعة أو بطيئة تدريجية.²

وبذلك تُعد مصطلحاً قديماً نسبياً -كما ترى أرندت- لم يكتسب معناه الجديد إلا ببطء وتؤدة، وفي الحقيقة إن الاستخدام ذاته لهذه الكلمة يشير بوضوح تام إلى الإفتقار لتوقع ما لا سابق له؛ من جانب الفاعلين الذين لم يكونوا أكثر إستعداداً من مشاهدي الفعل المعاصرين لهم³، والسؤال الذي نطرحه هل هناك تحديد علمي لمفهوم الثورة؟

والثورة أيضاً كما يعرفها عزمي بشارة، تحرك شعبي واسع خارج البنية الدستورية القائمة، أو خارج الشرعية، يتمثل هدفه في تغيير نظام الحكم القائم في الدولة. والثورة بهذا المعنى هي حركة تغييرٍ لشرعيةٍ سياسيةٍ قائمةٍ لا تعترف بها وتستبدلها بشرعيةٍ جديدةٍ⁴.

1- كرين برنتون، دراسات تحليلية للثورات، تر: عبد العزيز فهمي، مر: محمد أنيس، المرجع السابق، ص 04.

2- سلمان بونعمان، فلسفة الثورات العربية، مركز نماء للبحوث والدراسات، د ط، د ت، ص 17.

3- حنة أرندت، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 56.

4- وفاء لطفي، الثورة والربيع العربي، المرجع السابق، ص 04.

كل ما يمكننا قوله هو أن هناك محاولات يصعب أن ترقى إلى مستوى التعريف العلمي، فالكلمة دارجة في الاستخدام اليومي للغة، وحتى في الكتابة التاريخية، أطلقت كتسمية على عدد كبير من الظواهر المختلفة في شدتها والتي تمتد من أي تحرك مسلح- أو حتى غير مسلح- ضد نظام ما، إلى التحركات التي تطرح إسقاط النظام واستبدله، الأمر الذي يُصعَبُ عملية تدقيق المصطلح، وفي اللغة العربية نفسها أُستخدم التعبير لوصف تحركات شعبية من أنواع عدة مثل ثورة الزنوج وثورة القرامطة، وفي القرن التاسع عشر كانت تعني عند الأوروبيين تمرد العبيد بقيادة "سباتاكوس" في روما القديمة فكانت ثورة العبيد.¹

تجدر الإشارة إلى أن أول ثورة في التاريخ كانت "حوالي 45 قرناً في أواخر الأسرة السادسة التي حكمت مصر الفرعونية، إندلعت هذه الثورة ضد حكم "نفر كارع بيبى الثاني" الذي تولى العرش وكان عمره ست سنوات، وتُعتبر فترة حكمه أطول فترات الحكم في مصر القديمة فحكم حوالي أربعة وتسعين عاماً وتوفي عن مئة عام".²

1- عزمي بشارة، في الثورة والقابلية للثورة، المرجع السابق، ص 06.

2- رمزي المنيأوي، ثورات غيرت وجه العالم، ج 01، دار الكتاب العربي، دمشق القاهرة، د ط، د ت، ص 11.

ثانياً: التعريف بأهم المفاهيم الواردة في المذكرة:

الثورة الأمريكية (1775-1783): ثورة تحريرية قام بها سكان المستعمرات البريطانية -الثلاثة عشر- والواقعة في العالم الجديد، على الوطن الأم خلال القرن الثامن عشر، دافعها نقمة البرجوازية الجديدة في أمريكا على السيطرة الإستعمارية في العالم القديم وما تعنيه من استغلال إقتصادي لموارد البلاد وغايتها ضمان التحرر لتستطيع البرجوازية الجديدة العمل بحرية في بلادها.¹

الثورة الفرنسية: هي ثورة بكل ما يعنيه المفهوم الثوري من معان، بدأت سنة 1789 وانتهت تقريباً سنة 1799، إنها ثورة إجتماعية وسياسية وإقتصادية وفكرية ومذهبية إستهدفت تغيير الأوضاع القائمة من جذورها وبناء مجتمع جديد وسواء أنجحت في تحقيق هدفها أم لم تنجح إذ فشلت فعلا فإن الآثار التي تركتها في العالم ما لبثت أن إمتدت وانتشرت لتشمل كل أرض وكل صقع في القارة الأوربية ولتكون أم الثورات التي شهدتها القرنان التاسع عشر والعشرون.²

الديمقراطية: خير في ذاتها، لأنها إلى حد ما تعطي القدرة لجميع السكان في تقرير مصيرهم، وبصورة عامة، هي تخلص الناس العاديين من الطغيان والأذى اللذين يسودان معظم أنظمة الحكم السياسية، إضافة إلى أنها في أغلب الاحوال توفر ظروف حياة أفضل، على الأقل حين يتعلق الأمر بالتعليم والعناية الصحية والحماية القانونية.³

حقوق الإنسان: مجموعة الحقوق اللصيقة بالشخصية الإنسانية التي نصت عليها المواثيق الدولية والتي يتمتع بها الإنسان، ولا يجوز تجريده منها لأي

1 - حنة أرندت، رأي في الثورات، المصدر السابق، ص 07.

2 - حنة أرندت، رأي في الثورات، المصدر السابق، ص 07.

3- تشارلز تيللي، الديمقراطية، تر محمد فاضل طباح، مر: حيدر حاج اسماعيل، مركز دراسات المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط 01، 2010، ص 21.

سبب كان بصرف النظر عن كل من مظاهر التمييز مثل الدين واللغة واللون والأصل والعرق والجنس وغير ذلك.¹

الحرية: هي الوضعية التي يكون عليها كائن لا يخضع لإكراه، بحيث يتصرف حسب ما تمليه عليه إرادته وطبيعته.² وترى أرندت أن الحقل الذي عرفت فيه الحرية دوماً، كواقعة من وقائع الحياة اليومية، وليس كمشكلة هو بالتأكيد الحقل السياسي (...).³

الحرب: نقيض السلم، والفعل حربه يحربه حرباً أخذ ماله أي سلبه وتركه بلا شيء وقيل الحرب تؤنث باعتبار المقاتلة، وتذكر باعتبار القتال، يقول باربارا ويتمر: قد تشرع السلطة الاجتماعية الحرب وتصادق عليها وتعدّها مقبولة عندما تتشن ضد معتد، يعبر عن سلوك عنيف متعذر ضبطه، ولكن يمكن إيقافه بالأسلوب العنيف ذاته، أو يمكن شن الحرب نظراً إلى عدم جدوى تجنب الاعتداء على آخر، بمعنى أن شن الحرب ضد آخر هو ضمن التركيب البيولوجي للبشر.⁴

العنف: يعرفه مونتيسيكو على أنه خاصية ظاهرة أو فعل عنيف، يتعلق الأمر باستخدام غير مشروع، أو على الأقل غير قانوني للقوة، بالنسبة إلينا نحن الذين نعيش تحت نير قوانين مدنية، فنحن مجبرون على وضع تعاقد، إذ بواسطة القانون يمكننا أن نكون ضد العنف.⁵

الربيع العربي: أطلق على الثورات العربية التي مثلت حركات احتجاجية سلمية ضخمة انطلقت في بعض البلدان العربية خلل أواخر 2010 م ومطلع 2011، متأثرة بالثورة التونسية التي اندلعت جراء إحراق البوعزيزي نفسه،

1- محسن معوض، الدليل العربي: حقوق الانسان والتنمية، المرجع السابق، ص12.

2- محمد الهاللي وعزيز لزرق، دفاثر فلسفية نصوص مختارة: الحرية، المرجع السابق، ص 09.

3- محمد الهاللي وعزيز لزرق، دفاثر فلسفية نصوص مختارة: الحرية، المرجع السابق، ص 69.

4- محمد الهاللي وعزيز لزرق، دفاثر فلسفية نصوص مختارة: العنف، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء

المغرب، ط01 2009، ص 20.

5- محمد الهاللي وعزيز لزرق، دفاثر فلسفية نصوص مختارة: العنف، المرجع السابق، ص 09.

والتي اطاحت بحكم زين العابدين بن علي في تونس و محمد حسني مبارك في مصر و العقيد معمر القذافي في ليبيا، وكذلك تنازل الرئيس اليمني علي عبد الله صالح عن صلاحياته لنائبه بموجب المبادرة الخليجية هي تتدرج أيضا في هذا الطار، وكانت السباب الأساسية للثورة إنتشار الفساد، والركود الققتصاد وسوء الحوال المعيشية، إضافة التضيق السياسي، وعدم نزاهة الانتخابات في معظم البلد العربية¹.

1- جهاد عودة، الثورات العربية وأثرها على طبيعة التغيير الدولي، ورقة بحثية، المرجع السابق، ص 12.

الخاتمة:

تعد حنة أرندت من أوائل من أنتجوا رؤية علمية محكمة حول التفكير الثوري وكيفية تغيير المجتمعات بفعل الثورة، ولا تزال نظريتها في الثورة تعتمد في أكثر التحليلات المعاصرة لها.

تشير أرندت إلى أنه "لم يشهد التاريخ قرناً أكثر دموية من القرن العشرين، فقد قدر عدد من قتلوا فيما وقع فيه من حروب أو بسببها، بنحو 187 مليوناً، أي ما يعادل أكثر من عشر سكان المعمورة في سنة 1913، ولو نظرنا إلى القرن على أنه إبتداءً سنة 1914، لرأينا قرناً مشحوناً بحروب متصلة، لم تتخللها إلا فترات قصيرة مرت دون نزاعات مسلحة منظمة في بقعة هنا أو هناك، (...) فالعالم لم ينعم بالسلام منذ سنة 1914 وحتى الآن"¹ والثورة كما يقال هي الجسر الذي يتمكن من خلاله شعب ما من الشعوب من الانتقال مما كانت عليه إلى ما تتطلع إليه، حيث أصبحت الثورة - بدل الحرب وكما ترى أرندت- هي أداة وحيدة للنضال الآن وصورته المعاصرة، وتحتاج الشعوب اليوم لتحقيق ذلك إلى ثلاث ركائز أساسية تستطيع بواسطتها أن تصمد أمام معاركها المصيرية التي تخوض غمارها، وأن تنتزع النصر محققة أهدافها من جانب ومحطمة جميع الأعداء الذين يعترضون طريقها من جانب لآخر، هي أولاً الوعي القائم والإرادة الحرة، التخطيط والجرأة والعمل الجماعي، وضوح الرؤية والهدف ومتابعة الهدف المنشود وتجنب الانحراف عنه.

إن التغيير المبني على تلك الركائز الثلاثة ضروري لتأسيس الحرية، فبالتغيير يصبح لكل شيء تاريخ وخاصة للكائن البشري، وما لا تغيير له لا تاريخ له، والتغيير يؤدي إلى ظهور الجديد بالضرورة، لكن ما نراه في واقعنا اليوم أن الحشود حين تثور مهووسة بهذا التغيير "فإن لها القابلية على أن تكون أفعالها شبيهة بأفعال الملائكة طهارة ونقاء؛ لكنها في الوقت ذاته - وتحت المحرضات أو تحت خلوّ ساحاتها من موجّه - قد تحطم حتى كيانها وبنيتها الاجتماعية والاقتصادية فتسلب وتتهب وتقتل وتفتك وتحاكم باسم الثورة الغاضبة والتحرر؛ فهي على الدوام واقعة بين سلوك أشبه ما يكون بين ذئب وملاك"².

1- إيريك هوبزبام، العولمة والديمقراطية والإرهاب، تع: أكرم حمدان ونزهت طيب، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، ط 01، 2009، ص 15.

2- فارس عزيز المدرس، القادمون قراءة في السياسة والمجتمع والانسان، دار الكتاب الثقافي، عمان، د ط، 2012، ص 93.

وكما تؤكد أرندت على العنف ودوره في سير عجلة الثورة، فلقد أصبح العنف وأحداث الشغب من السمات المميزة لعالمنا المعاصر، فما يكاد يمر يوم دون أن نسمع عن اندلاع التظاهرات والثورات وأعمال العنف في مكان ما من العالم، أو عن اختطاف طائرة أو احتلال سفارة والمساومة على الرهائن في مكان آخر.

ولمعالجة هذا الأمر تلجأ الدولة إلى "تفعيل مزيد من القوة البشرية؛ بل مزيد من قوة السلاح كذلك، فاختصاصيو ضبط الجماهير يعولون اليوم على أربعة أنواع رئيسية في التعامل مع مظاهرات الشغب: الكيمياءويات (مثل الغاز المسيل للدموع)، والكينتيكا، أو علم الحركة مثل مسدسات ضبط الشغب والذخيرة المطاطية، وخرائط المياه وتقنية الصعق"¹ وإذا كانت "الحرية هي شكل الدفاع الأبسط والأدنى عن النفس شرط البقاء، وهي الإطار الذي يسمح لطبقة أو فرد أن يدافع عن مصالحه ويضمنها"²؛ فإنه لا بد لأي ثورة من ثورات اليوم إلا وأن تعمل على إسترداد هذا الحق وحمائته.

تنشأ الثورات عادة من استياء الفاشلين وهم الذين يشعرون بالضغط، والكبت والعجز والتهميش أكثر مما يشعرون بالطغيان الشديد، عن العاطلين البائسين المشردين والمنبوذين والجائعين الناقمين على أوضاعهم، "فالشعوب غالباً لا تخرج للثورة إلا إذا جاعت بطونها، أو نجح المحرّضون بملئ صدورهم بالكراهية ضد فئة أخرى تخالفها في المعتقد أو العرق، إن طريق الثورة التي يشترعها ثوار المجتمعات هي طريق كل فاجعة ما لم ينبري عقلاؤها إلى قيادة روح التغيير فيها"³.

كما نجد أن أرندت وبفضل قراءاتها الدقيقة إستطاعت أن تجمل أهم ما يمكن إستخلاصه من تجربة الثورة الحديثة، بأسلوب بسيط وراقي يتلائم مع حجم ثورتين عظيمتين هما الثورتان الأمريكية والفرنسية، وحسب أرندت فإن هذين الثورتين كانتا تعدان الانسان العادي بوعود غامضة؛ مثل السعادة الكاملة والحرية الكاملة، ومحسوسة مثل الإشباع الكامل لكل الرغبات المادية، مع التغلب على كل أنواع العقبات التي تقف في الطريق، في سبيل تحقيق مطالب رجالها المؤسسين وشعبيها.

1- إيريك هوزيام، العولمة والديمقراطية والإرهاب، تع: أكرم حمدان ونزهت طيب، المرجع السابق، ص 121.

2- برهان غليون، بيان من أجل الديمقراطية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط 05، ص 184.

3- فارس عزيز المدرس، القامون قراءة في السياسة والمجتمع والانسان، المرجع نفسه، ص 101.

بيد أن الثورة الوحيدة التي حققت هدفها ولم تخرج عن طريقها -على حسب أرندت- هي الثورة الأمريكية والمتمثل في "السعادة العامة"، وذلك لتوفر مجموعة من العوامل منها الوفرة المتشبهة بها أرض الميعاد من جهة؛ ومؤسسات الدولة الجديدة من دستور ومجلس الشيوخ من جهة أخرى، بالإضافة إلى مبادرتها في وضع إعلان عام لحقوق الإنسان .

وفي السياق ذاته ترى أرندت أن الثورة الفرنسية ثورة أكلت أبنائها، ولم تستطع أن تحقق مبتغاها "الحرية العامة"، وذلك لمجموعة من العوامل منها الشحة والفقير الكامن في أغلب طبقات الشعب الفرنسي، وتوجه الثوار لحل مشكلة المسألة الاجتماعية قبل بناء وتأسيس الحرية، مما يدفع الثوار إلى نسيان هدفهم الأسمى، ووضع قرارات سريعة من شأنها أن تؤدي إلى العنف، وكذلك ضعف الحكومات الثورية في صياغتها للدستور، والإلتزام بإعلان عام لحقوق الإنسان.

وكاستنتاج عام نستطيع القول فكر أرندت استطاع أن يشمل كل الجوانب الأساسية التي يجب توفرها في عملية تغيير ما كي تسمى "ثورة"، كما يمكن القول بأن "الثورات يمكن أن تكون اليوم أكبر ولكنها بالتأكيد ليست أحسن"¹، حيث أنه وإذا أردنا أن نقرأ واقع الثورات العربية في ظل فكر أرندت هذا، فلا شك أن هذه الثورات العربية كانت فشلاً ذريعاً محزناً؛ "فجميع المؤشرات تدل على أن ما سيأتي بعدها سيكون أسوأ بكثير مما كان قبله، في تونس وفي كل مكان آخر، وقد تسببت الأحداث المؤلمة التي وقعت حتى الآن بالفعل في قدر هائل من الفوضى والعنف، وجعلت حياة أناس بسطاء أبرياء أكثر بؤساً وشقاء مما كانت عليه قبل ذلك، فمن الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية، أعاد الربيع العربي بلدانا مثل تونس واليمن وسوريا عقوداً إلى الوراء"².

1- كرين برنتون، دراسات تحليلية للثورات، تر: عبد العزيز فهمي، مر: محمد أنيس، المرجع السابق، ص287.

2- جون آر برادلي، ما بعد الربيع العربي كيف اختطف الإسلاميون الثورات، تر: شيماء عبد الحكيم طه، مر: محمد إبراهيم الجندي، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة مصر، ط 01، 2013، ص 159.